المنافقون في القرآن

علم

عبد الأمير قبلان

من منشورات دار الهجرة

إيران - قم

١٤٠٦هـ ١٣٦٣ش

« مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى
هؤلاء ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا »
« قرآن كريم »

المنافقون في القرآن

بقلم

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

عبد الأمير قبلان

من منشورات دار الهجرة
ايران ـ قم ، ص . ب ٥٤
١٤٠٤هـ ١٣٦٣ش

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی
شماره ثبت: ۴۳۱۱۱
تاریخ ثبت:

الأهداء

الى المذبذبين في كل زمان ومكان

الى اصحاب القلوب المريضة والطرق الملتوية

الى الذين غرتهم الاهواء والمطامع

الى الذين قالوا : ان الاسلام لايصلح نظاماً البشرية

الى كل من تعلم الف و دوران

الى كل من لعب على ـ الحبلين ـ

الى كل من اظار الاسلام وابطن الكفر

الى كل هؤلاء :

اقدم كتابي هذا ؟

ـ لعلهم يهتدوا ، او ليزدادوا كفراً و نفاقاً

« المؤلف »

مقدمة الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

حركة النفاق بدأت بدخول الاسلام المدينة ، واستمرت الى الأبد ولم تنقطع في أي وقت ، وان تغيرت مظاهرها ووسائلها بين الحين والحين . وقد شغلت من جهد المسلمين ووقتهم وطاقتهم قدراً كبيراً .

وظهور هذه الحركة في المدينة شيء واضح لايحتاج الى بيان لان النبي ﴿ صلى الله عليه وآله ﴾ والمسلمين الأولين في مكة لم يكونوا من القوة والنفوذ في حالة تستدعي وجود فئة من الناس ترهبهم أو ترجو خيرهم ، فتتملقهم وتتزلف اليهم في الظاهر ، وتتآمر عليهم وتكيد لهم وتمكر بهم في الخفاء ، كما هي سيرة المنافقين بوجه عام .

ولقد كان زعماء مكة بوجه خاص يناوئون النبي ﴿ ص ﴾ جهاراً ويتناولون من استطاعوا من المسلمين بالاذى الشديد . حتى اضطر المسلمون للهجرة فراراً بدينهم الى الحبشة اولا ، ثم الى المدينة ثانياً .

وكان الامر في المدينة مختلفاً جداً عن مكة ، حيث ان النبي ﴿ص﴾ استطاع قبل الهجرة اليها ان يكسب انصاراً اقوياء من الاوس والخزرج ولم يهاجر الا بعد ان ركز العقيدة في قلوب انصاره واستوثق من موقفه ولم يبق فيها بيت الا ودخله الاسلام . ففي هذه الحالة لم يكن من المهين

ان يقف الذين لم يؤمنوا بموقف العداء العلني للنبي والمسلمين من المهاجرين والانصار وكان للعصبية في الوقت نفسه اثر غير قليل في عدم الوقوف هذا الموقف . لان رجال الاوس والخزرج اصبحوا انصاراً للنبي (ص) مرتبطين معه بمواثيق الدفاع والنصر . وغدوا يرون فيه رسول الله (ص) وقائدهم الاعلى الواجب الطاعة ومرشدهم الاعظم الواجب الاتباع فلم يكن يسع الذين ظلت تغلبهم نزعة الشرك ، وبتحكم فيهم مرض القلب والمكابرة والحقد ، ان يظهر واعلنا في نزعتهم وعدائهم ، ولم يكن امامهم الا التظاهر بالاسلام ، والقيام باركانه ، والتضامن مع قبائلهم . وجعل مكرهم وكيدهم ودسهم ومؤمراتهم باسلوب المراوغة والخداع والتمويه .

وعلى كل حال لم يعترفوا بالكفر والنفاق غير ان نفاقهم وكفرهم ومواقفهم في الكيد والدس والتآمر لم تكن لتخفى على النبي والمخلصين من المسلمين . ولم يكونوا مفضوحين فضيحة تامة ولم يكن الاسلام قد رسخ في سواد العرب رسوخا كافياً ومع ذلك كان محوطاً بالمشركين من كل جانب وخصوصاً اهل مكة خصومه الالداء يتربصون به الدوائر ويتحينون به الفرص للقضاء عليه ، واليهود في المدينة وحولها قد تنكروا له منذ عهد مبكر وتطيروا به ، ثم جاهروه بالكفر والعداء والمكر .

ولم يلبث ان انعقد بينهم وبين المنافقين حلف طبيعي على توحيد المسعى والتضامن في موقف المعارضة والكيد حتى ليمكن القول : ان

المنافقين لم يقووا ويثبتوا ويكن منهم ذلك الاذى الشديد والاستمرار في الكيد والدس الا بسبب مالقوه من اليهود من تعضيد ، وما انعقد بينهم من تضامن وتواثق ولم يضعف شأنهم ويخف خطرهم الا بعد ان مكن الله النبي من هؤلاء واظهره عليهم ، وكفاه شرهم .

فكذلك المنافقون اليوم قد عقدوا بينهم وبين الملحدين والشيوعين حلفاً طبيعياً على توحيد المسعى والتضامن في موقف المعارضة والكيد للمسلمين حتى ليمكن ان نقول : ان المنافقين لم يقووا ويثبتوا ويكن منهم ذلك الكيد والدس والعداء للاسلام واهله الا بسبب مالقوه من الاستعمار بكلامعسكريه وخصوصاً المعسكر الشيوعي من تعضيد وما انعقد بينهم من تضامن وتواثق ولم يضعف شأنهم ويخف خطرهم الا بعد ان مكن الله للمسلمين من هؤلاء واظهرهم عليهم وكفاهم شرهم .

وما تزال مواقف المنافقين ومكايدهم بعيدة المـــدى والاثر حتى لكأنه نضال قوي يذكرنا بما كان من نضال بين النبي ﴿ ص ﴾ وزعماء مكة والمنافقين في المدينة . وان اختلفت الادوار والنتائج .

ومواقفهم العلنية في هذه الظروف المحشوة بالكيد والدس والمطبوعة بطابع من النفاق بارز . فانما كان هذا منهم في بعض الظروف والازمات الحادة التي مرت بالمسلمين وحدقت بهم ، والتي كانوا يتخذونها حجة لتلك المواقف بداعي المصلحة والمنطق والاحتياط وهذه المواقف كانت

مما تزيد في كفرهم ونفاقهم فضيحة ومقتا . وما تزال الآيات القرآنية توجه اليهم كذلك الفضائح المرة بعد المرة . وتدل عليهم بما يفعلون او يمكرون وتدفعهم بشرورهم وخبثهم ومكايدهم وتحذر المسلمين منهم في كل ظرف ومناسبة كما حذرت النبي ﴿ ص ﴾ من قبل .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

بسم الله الرحمن الرحيم

(ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين) (١)

(يخادعون الله والذين امنوا وما يخدعون الا انفسهم وما يشعرون)(٢)

(في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب اليم بما كانوا يكذبون)(٣)

(واذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض قالوا : انما نحن مصلحون)(٤)

الا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون (٥)

(واذا قيل لهم امنوا كما امن الناس قالوا انؤمن كما امن السفهاء

الا انهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون) (٦)

(واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا

انا معكم انما نحن مستهزئون) (٧)

(الله يستهزىء بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون) (٨)

---

(١) البقرة : آية ـ ٨ (٢) البقرة : آية ـ ٩

(٣) البقرة : آية ـ ١٠ (٤) البقرة : آية ـ ١١

(٥) البقرة : آية ـ ١٢ (٦) البقرة : آية ـ ١٣

(٧) البقرة : آية ـ ١٤ (٨) البقرة : آية ـ ١٥

اولئك الذين إشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين (١) .

بعد ان وصف الله سبحانه وتعالى المتقين بقوله : « الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون » .

ووصف الكافرين بقوله : « ان الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم ، وعلى ابصارهم غشاوة ، ولهم عذاب اليم » .

ثم انتقل سبحانه وتعالى الى وصف الفئة المتلونة من البشر .

فماذا نرى :

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

فانها ليست في صفاء الصورة الاولى وسماحتها ، وليست في ظلمة الصورة الثانية وصفاقتها . ولكنها تتلوى في الشعور . وتحيل في الامور : وتلون في البصر . وخفاء وظهور . . . انها صورة المنافقين .

« ومن الناس من يقول : آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين يخادعون الله والذين آمنوا ، وما يخدعون الا انفسهم وما يشعرون في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ، ولهم عذاب اليم بما كانوا يكذبون »

يالسخرية والغفلة التي تنصب عليهم . انهم يظنون في انفسهم الذكاء والدهاء والقدرة على الخداع . . . ولكنهم من الغفلة والبلاهة بحيث

---

(١) البقرة : آية ـ ١٦

لايخدعون الا انفسهم «وما يشعرون» فالله يخداعهم ويمكرهم عالموالمؤمنون لا ينخدعون باقاويلهم ومفترياتهم وهم بربهم متصلون .

ولكن لماذا يحاول المنافقون هذه المحاولة والمحاتلة ولماذا يمكرون هذا المكر ويخادعون هذا الخداع . . . « في قلوبهم مرض » في طبيعتهم آفة ، في عقليتهم انحراف ، في فطرتهم علة وهذا ما يحيدهم ويزيحهم عن الطريق المستقيم « فزادهم الله مرضاً » فالمرض ينشىء المرض فازدادوا بذلك كفرا الى كفرهم ، وشكا الى شكهم والاعوجاج يبدأ قليلا ثم تنفرج الزاوية في كل خطوة وتزداد . فهم صائرون الى مصير معلوم « ولهم عذاب اليم بما كانوا يكذبون » .

« واذا قيل لهم لاتفسدوا في الارض . قالوا انما نحن مصلحون الا انهم هم المفسدون ولكن لايشعرون » .

انهم لايقفون عند هذا الحد من الكذب والخداع ، انما يضيفون اليهما السفه والادعاء « واذا قيل لهم لاتفسدوا في الارض » لم يكتفوا بان ينفوا عن انفسهم الافساد ، بل تجاوزوه الى التبجح والادعاء قالوا « انما نحن مصلحون » وجحدوا ذلك البلاغ ـ الا انهم هم المفسدون ولكنهم من البلاهة والغفلة « لايشعرون » .

واذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس . قالوا : انؤمن كما آمن السفهاء؟ الا انهم هم السفهاء ولكن لايعلمون » .

فاذا قيل لهم : آمنوا بمحمد ﴿ صلى الله عليه واله ﴾ وبما جاء من عندالله كما آمن به الناس المؤمنون حقاً الذين تعرفونهم باليقين والتصديق الذين يستحقون ان يقال لهم « الناس » بما فيهم من مقومات الانسانية العليا وبما فيهم من استعداد للمعرفة والاستجابة واذا قيل لهم : تعالوا الى مألوف الناس ومعروفهم لم يكتفوا بالاعتذار عن مخالفتهم للناس وانحرافهم عن الطريق ... ولكن توقحوا وسفهوا . و « قالوا : انؤمن كما آمن السفهاء والجهال ومن لارأي له ولا عقل كالصبيان والنساء وحينئذ جاءهم الردحاسماً جازماً مكذباً لظنهم « الاانهم هم السفهاء » ... «ولكن لا يعلمون » ومتى علم السفيه انه سفيه ومتى شعر البذيء انه بذيء .

واذا لقوا الذين آمنو قالوا : آمنا ، واذا خلوا الى شياطينهم قالوا : انا معكم انما نحن مستهزئون » .

فهم لا يقفون عند حد الكذب والخداع والسفه والادعاء انما يضيفون اليها الضعف واللؤم : « واذا لقوا الذين آمنوا قالوا : آمنا »ضعفاً عن المواجهة او خداعا ومكراً وما ينتج المرض والا لتواء الا الضعف واللؤم سواء .

وبعض الناس يحسب اللؤم قوة ، وهو ضعف وخسة ، فالقوي ليس لئيما ولا خسيساً ، ولا خادعا ولا منافقا ، والقوي ليس مستهزئاً بالناس ولا غمازاً لمازا في الخفاء . وما اضعف هؤلاء الذين يقولون :

انهم مستهزئون ... « الله يستهزىء بهم » وما ابأس من يستهزىء بهجبار السماوات والارض وما اشقاه ... وان الخيال ليمتد الى منظر مفزع رهيب ، والى مصير تقشعر من هوله القلوب وهو يقرأ : « الله يستهزىء بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون » فيخبطون على غير هدى في طريق لا يعرفون غايته ، واليد الجبارة تتلقفهم في نهايته ،

« اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين » اولئك الذين اشتروا الكفر بالايمان « والضلالة بالهدى » فما ربحوا في تجـــارتهم وخاب سعيهم وأفل امرهم وخسرت صفقتهم لانهم استبدلوا بالهدى الضلالة وبالرشاد الغيبة « وما كانوا مهتدين » لاستبدالهم الكفر بالايمان والنفاق بالتصديق (مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما اضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون) (١)

صم بكم عمي فهم لا يرجعون (٢)

او كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون اصابعهم في اذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين (٣)

يكاد البرق يخطف ابصارهم كلما اضاء لهم مشوا فيه واذا اظلم عليهم قاموا ولو شاء الله لذهب بسمعهم وابصارهم ان الله على كل شيء قدير (٤)

---

(١) البقرة : آية ـ ١٧ (٢) البقرة : آية ـ ١٨

(٣) البقرة : آية ـ ١٩ (٤) البقرة : آية ـ ٢٠

انهم لم يعرضوا عن الهدى ابتداء ولم يصموا آذانهم عن السماع وعيونهم عن الرؤية وقلوبهم عن الادراك كما يصنع الكافرون ولكنهم استحبوا الضلالة على الهدى بعدما استوضحوا الامر وتبينوه ، وبعدما اختاروا لانفسهم فاساءوا الاختيار وتركوا الذي هو خير فكان مصيرهم البوار . . . لقد استوقدوا النار ، فلما اضاءت لهم نورها لم ينتفعوا به وهم طالبوها عندئذ « ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون » واذا كانت الاذان والالسنة والعيون ، لتلقي الاصداء والاضواء ، والانتفاع بالهدى والموعظة فقدعطلوا اذانهم فهم «صم» وعطلوا السنتهم فهم (بكم) وعطلوا عيونهم فهم « عمي » فلا رجعة لهم الى الحق ولا مآب .

(او كصيب من السماء ، فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون اصابعهم في اذانهم من الصواعق حذر الموت . والله محيط بالكافرين . يكاد البرق يخطف ابصارهم كلما اضاء لهم مشوا فيه واذا اظلم عليهم قاموا . ولو شاء الله لذهب بسمعهم وابصارهم . ان الله على كل شيء قدير ...)

انه مشهد عجيب ، حافل بالحركة ، مشوب بالاضطراب فيه تيه وضلال ، وفيه هول ورعب ، وفيه فزع وحيرة ، وفيه اضواء واصداء... صيب من السماء هاطل غزير (فيه ظلمات ورعد وبرق) ... (كلما اضاء لهم مشوا فيه) ... (واذا اظلم عليهم قاموا) ووقفوا حائرين لا يدرون ايان يذهبون . وهم مفزعون (ويجعلون اصابعهم في اذانهم من الصواعق

حذر الموت) ... والله محيط بالكافرين)

ان الحركة التي تغمر المشهد كله ، من الصيب الهاطل ، الى الظلمات والبرق والرعد الى الحائرين المفزعين فيه ، الى الخطوات الروعة الوجلة ، التي تقف فجأة عندما يخيم الظلام . ان هذه الحركة في المشهد لترسم الحركة التي في الضمائر . حركة التيه والاضطراب الذين يعيشون فيه ، بين لقائهم للمؤمنين وعودتهم الى الشياطين بين مايقولونه لحظة ثم ينكصون عنه فجأة ، بين مايطلبونه من هدى و نور ، ومايفيئون اليه من ظلال وظلام وسبب نزول هذه الآية :

ماروى عن ابن مسعود ، وجماعة من الصحابة : ان رجلين من المنافقين من اهل المدينة هربا من رسول الله ﴿ ص ﴾ فاصابهما المطر الذي ذكره الله (فيه رعد شديد وصواعق و برق) فكلما اصابتهما الصواعق ، جعلا اصابعهما في آذانهما من الفرق ان تدخل الصواعق في اذانهما فتقتلهما واذا لمع البرق مشيا في ضوئه ، واذا لم يلمع لم يبصرا ، فاقاما في مكانهما لا يمشيان فجعلا يقولان : ليتناقد اصبحنا فنأتي محمداً ﴿ ص ﴾ ، فنضع ايدينا في يده ، فاصبحا فاتياه ، واسلما وحسن اسلامهما .

فضرب الله شأن هذين المنافقين مثلا لمنافقي المدينة ، وانهم اذا حضروا النبي ﴿ص﴾ جعلوا اصابعهم في اذانهم فرقا من كلام النبي ﴿ص﴾ ان ينزل فيهم شيئا ، كما قام ذانك المنافقان ، يجعلان اصابعهما في اذانهما .

(واذا اضاء لهم مشوا فيه) يعني اذا اكثرت اموالهم واصابوا غنيمة وفتحا مشوا فيه ، وقالوا : ان دين محمد ﴿ ص ﴾ صحيح .

(واذ اظلم عليهم قاموا : يعني اذا هلكت اموالهم وولد البنات واصابهم البلاء هذا من اجل دين محمد ﴿ ص ﴾ وارتدوا كما قام ذانك المنافقان اذا اظلم البرق عليهما .

وهذا المثل ضربه الله سبحانه وتعالى بالرعد والبرق لما هم فيه من الحيرة والالتباس . يقول : لا يرجعون الى الحق الا خلساً كما يلمع البرق ثم يعودون الى ضلالهم واصلهم الذي هم عليه ثابتون واليه يرجعون والكفر كظلمة الليل والمطر الذي يعرض في خلالها البرق لمعا وهم في اثناء ذلك يحذرون الوعيد والعذاب العاجل ان اظهروا الكفر كما يحذرون الصواعق من الرعد فيضعون اصابعهم في اذانهم ارتياعا وانزعاجا في الحال ثم يعودون الى الحيرة والضلال .

العرض الثاني لطبيعة المنافقين

وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم : تعالوا قاتلوا في سبيل الله او ادفعوا . قالوا : لو نعلم قتالا لاتبعناكم هم للكفر يومئذ اقرب منهم للايمان . يقولون

بافواههم ماليس في قلوبهم والله اعلم بما يكتمون (١) .

﴿ الذين قالوا لاخوانهم وقعدوا لو اطاعونا ماقتلوا قل: فادرأوا عن انفسكم الموت ان كنتم صادقين (٢) ﴾

هذا هو الاستعراض الثاني في شأن المنافقين . ومن هم المنافقون في عهد النبي ﴿ ص ﴾ .

اولئك هم جماعة عبدالله بن ابي سلول رأس النفاق الذين خذلوا المسلمين قبل ان تبدأ المعركة .

والذين انعزلوا عن الجيش وارتدوا ، فلما دعوا ان يقاتلوا او يدافعوا قالوا في تهكم : لو نعلم قتالا لاتبعناكم .

(هم للكفر يومئذ اقرب منهم للايمان . يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم) .

هم منافقون يقولون غير ما يكتمون . والمنافق اقرب الى الكفر منه الى الايمان . فالنفاق والايمان لا يجتمعان ولا يقتربان .

﴿ والله اعلم بما يكتمون ﴾

ثم يستمر السياق يستعرض ما كان من هؤلاء المنافقين في ذلك اليوم الذي اراد الله ان يكشف فيه عن نفاقهم ويظهره على الملأ ، ولو انه

---

(١) آل عمران : ١٦٧ (٢) آل عمران : ١٦٨

يعلم ما يكتمون .

﴿ الذين قالوا لاخوانهم وقعدوا : لو اطاعونا ما قتلوا ﴾ .

فهم لا يكتفون بان لا يقعدوا ، بل يشيعون الفشل والتردد في نفوس الاخرين ، فيدعونهم الى القعود مثلهم اتقاء الموت ، كأن الخروج للقتال هو سبب الموت . عندئذ يجبههم ويتحداهم بما هو شائع وواقع لا نكران فيه قل : فادرأوا عن انفسكم الموت ان كنتم صادقين » والموت يصيب القاعدين كما يصيب المجاهدين ، فان كانوا صادقين فليدرأوا عن انفسهم الموت بقعودهم وماهم بمستطيعين » انه تحد يتلقاهم به سريعاً ، لان مقالتهم تلك خطيرة وماكرة وكفيلة بان تشيع التردد والندم على الخروج للجهاد وبخاصة حين تذكر عقب الهزيمة ، وفي النفوس ضعف الهزيمة وفي الجور انحتها وظلها ... لهذا جاء ذلك التحدي القاطع الذي يكشف الكذب ويفضح الدسيسة ..

اتجاه المنافقين

﴿ الم تر الى الذين يزعمون انهم آمنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت وقد امروا ان يكفروا به ويريد الشيطان ان يضلهم ضلالا بعيداً (١) ﴾

خطاب الى الذين ينحرفون عن الشريعة الاسلامية ويرجعون الى اصول غير اصولها ، ويتحاكمون الى غير شريعة الله وهم يزعمون انهم مؤمنون ...

يلتفت اليهم بتعجيب الرسول ﴿ ص ﴾ من امرهم متضمناً هذا التعجيب تنديداً بمسلكهم ، وتحذيراً لهم من اضلال لشيطان لهم وتنبيهاً للرسول في شأنهم :

﴿ الم تر الى الذين يزعمون انهم آمنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك ، يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت ـ وقد امروا ان يكفروا به ـ ويريد الشيطان ان يضلهم ضلالا بعيداً ﴾

الم تر الى الذين يزعمون الايمان ، ثم يسلكون غير طريق الايمان

---

(١) النساء : ٦٠

ذلك اذ يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت فالطاغوت اذن هو كل شريعة غير شريعة الله . وكل حكم غير حكمه فهو طاغوت من الطغيان ، لان العدل فيه لا يتحقق ولانه لا يحمل مقياساً ثابتاً للعدل غير خاضع للهوى والانحراف والضلال . . انهم يزعمون الايمان وهم على غير طريقه .

وكذلك كل من يأبى ان يتحاكم الى شريعة الله ، وكل من يحكم بغيرها كائناً ما كان القانون الذي يحكم به مادام لا يستمد من ذلك المعيار الثابت للعدل المطلق في الحياة ... « وقد امروا ان يكفروا به » بذلك الطاغوت . بذلك الحكم الذي لا يستمد من ذلك المعين ... ولا يرجع الى ذلك الاصل الكبير ...

وانهم ليتجهون هذا المتجه ، وينهجون ذلك النهج لان الشيطان رائدهم ويريد الشيطان ان يضلهم ضلالا بعيداً لا يرجعون منه ولا يهتدون .

﴿ واذا قيل لهم : تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدوداً (١) ﴾

﴿ فكيف اذا اصابتهم مصيبة بما قدمت ايديهم ثم جاؤك يحلفون بالله ان اردنا الا احساناً وتوفيقاً (٢) ﴾

كان ذلك على عهد الرسول ﴿ ص ﴾ وما يزال هؤلاء المنافقون

---

(١) النساء : ٦١ (٢) النساء : ٦٢

يعيشون في ارض الاسلام ، وما يزالون ينفرون ويصدون عمن يدعوهم الى شريعة الله ، والى حكم الرسول ﴿ ص ﴾ وما يزالون يتحاكمون الى الطاغوت ، عن جهل مرة وعن هوى مرات فكيف اذا اصابتهم مصيبة بما قدمت ايديهم ، ثم جاءوك يحلفون بالله ان اردنا الا احسانا وتوفيقا» كيف يكون حالهم وموقفهم منك ، اذا اصابتهم مصيبة ، بسبب انحرافهم عن النهج القويم ، ثم جاءوك يحلفون بالله ما اردنا بالتحاكم الى سواك الا الاحسان الى الناس والتوفيق بينهم وازالة الخلاف وفض النزاع . لقد كان هذا يقع على عهد الرسول ﴿ ص ﴾ وما يزال يقع . ما تزال حجة الذين يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت وان ينحرفوا عن النهج الثابت ... ما تزال حجتهم هي التوفيق وازالة الخلاف وفض النزاع .

﴿ اولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم فاعرض عنهم وعظهم وقل لهم في انفسهم قولا بليغا (١) ﴾

﴿ وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله ولو انهم اذ ظلموا انفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما (٢) ﴾

﴿ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا

---

(١) النساء : ٦٣ (٢) النساء : ٦٤

في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما (١) ﴾

اولئك يخفون نياتهم الحقيقية ، ويكتمون بواعثهم الاصيلة ويحتجون بهذه المعاذير ، والله يعلم كوامن الضمائر وما تنطوي عليه الصدور ولكن الله لايدعو الرسول ان يجبههم بما يعلمه الله عنهم انما يدعوه ان لايحفل بهم ، ومع ذلك لايحرمهم الموعظة والنصيحة : « ـ فاعرض عنهم وعظهم .. » لا تحفل باتجاهاتهم ، ولا يهمك شأنهم ، ولكن قدم لهم الموعظة « وقل لهم في انفسهم » كأنما القول يودع مباشرة في الانفس ويستقر في القلوب « . وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله ... » ان الرسول ليس واعظا يلقي كلمة ويمضي ، ولكن جاء الرسول ليطاع لاتهمل اوامره ، ولا لتكون موكولة لمجرد التأثر الوجداني جاء ليبني شريعة الله ويقوم على تنفيذها ، ويأخذ الناس بطاعتها احتراما لامر الله ـ ولو انهم اذ ظلموا انفسهم بالانحراف عن المنهج السوى ، والتحاكم الى الطاغوت « جاءوك » مستغفرين تائبين « واستغفر لهم الرسول » ليقبل الله توبتهم ولو انهم عادوا الى الله « لوجدوا الله توابا رحيما » يقبل التوبة عن عباده ويرحم ضعفهم ، ويعفو عن خطئهم ، ويفتح ابوابه دائما للتائبين .

ومرة اخرى يؤكد ان الايمان لايتحقق الا بسلوك منهجه وان التحاكم الى شريعة الله هي الطريق ... ولكنه في هذه المرة يوضح

---

(١) النساء : ٦٥

صفة هذا التحاكم . فهي ليست مجرد الخضوع القهري ، انما هي كذلك الاطمئنان والرضى والقبول :

« فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ، ثم لا يجدوا في انفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليما »

انه اقتناع الوجدان ، واطمئنان الضمير ، وتسليم الرضى بذلك التحكيم .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

﴿ وان منكم لمن ليبطئن فان اصابتكم مصيبة قال : قدانعم الله علي . اذلم اكن معهم شهيداً (١) ﴾

﴿ ولئن اصابكم فضل من الله ليقولن ـ كأن لم تكن بينكم وبينه مودة ـ ياليتني كنت معهم ، فافوز فوزاً عظيما (٢) ﴾

الاحتياط! الحذر! ايها المسلمون ـ لا من العدو المعلن العداء للاسلام والمسلمين فحسب ـ بل من هؤلاء المعوقين المبطئين المثبطين سواء كانوا يبطئون انفسهم ـ اي يقعدون بها متثاقلين ـ او يبطئون غيرهم معهم ، وهي اشد وانكى . هؤلاءهم بكل براعتهم ، وبكل طبيعتهم ، وبكل اعمالهم واقوالهم هؤلاءهم مكشوفون للاعين ، كما كانوا قد وضعوا تحت مجهر يكشف النيات والسرائر ويكشف البواعث والخواطر . هؤلاءهم كما كانوا على عهد الرسول ﴿ ص ﴾ وكما يكونون في كل زمان وفي كل مكان . هؤلاءهم الضعاف المنافقون الملتوون الذين لا يعرفون غاية اعلى من مصالحهم ولا افقا اعلى من ذواتهم . فهم يديرون الدنيا كلها على محور واحد وهم هم هذا المحور الذي لا ينسونه في لحظة من اللحظات . انهم يبطئون ويتلكأون ولا يصارحون ، ليمسكوا العصا من الوسط كما يقولون : فان اصابت المجاهدين محنة وابتلوا ذلك البلاء الذي يصادف المجاهدين في ثنايا الطريق فرح المتخلفون ، وحسبوا ان فرارهم من هذا البلاء نعمة ،

---

(١) النساء : ٧٢ (٢) النساء : ٧٣

لايخجلون ان ينسبوها الى الله الذين يخالفون عن امره ، ويقعدون عن نصرة شريعته ؟ وهي نعمة ظاهرها فيه الرحمة وباطنها من قبله العذاب. هي نعمة عند من لا يدركون لماذا خلقوا ولا يتطلعون الى افاق اعلى من مواطىء الاقدام في هذه الارض .

هي نعمة عند من لايحسون ان البلاء في طريق الجهاد لاعلاء كلمة الله فضل يخص به الله من يشاء من عباده ليرتفعوا على ضعفهم البشري ويشرفوا حياة يملكونها ولا تملكهم ويتطلعوا الى حياة في ارض ارفع والى رضوان من الله اكبر .

واما اذا كان النصر حليف المجاهدين الذين واجهوا المصاعب والبلاء ، ونالهم فضل من الله ، بالنصر و الغنيمة والرضوان ... ندم المتخلفون . . .

ولماذا ؟

لانهم حرموا من الغنيمة والنصر ، وندموا حيث لاينفع الندم ، وعضوا على الاصابع بعد فوات الفرصة و « ليقولن ـ كأن لم تكن بينكم وبينه مودة ـ ياليتني كنت معهم فافوز فوزاً عظيما »

نعم لم تكن بينه وبينهم مودة . ولكن القرآن يتهكم بهذه المودة السطحية مودة النفاق التي كانوا يتظاهرون بها حتى كشفت الوقائع عنها .

ويقولون طاعة فاذا برزوا من عندك بيت طائفة منهم غير

الذي تقول : والله يكتب مايبيتون فاعرض عنهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا (١)

واذا جاءهم امر من الامن والخوف اذاعوا به (٢)

واللفظ يوحي بانهم كانوا متظاهرين بمنتهى الطاعة امام رسول الله ﴿ ص ﴾ حتى اذا خرجوا من مجلسه ﴿ ص ﴾ راح جماعة منهم يبيتون غير الذي قالوا ويرتبون عكس ما تظاهروا به .

ولكن بيّنهم في تدبيرهم ومشاوراتهم السرية ومؤامراتهم الخفية .

جاءهم النص مفاجئاً بان الله معهم يعلم مايبيتونه في الظلام . ويحصي عليهم كل ما يخفون .

وماداموا في ضلال وتيه وخبث سريرة « فاعرض عنهم » ايها الرسول « وتوكل على الله » والله يكفيك شرهم « وكفى بالله وكيلا »

واذا جاءهم امر من الامن او الخوف اذاعوا به ـ ثم يعود السياق الى القوم يكشف عن سلوكهم التا شيء عن اضطراب طبيعتهم فاذاهم قوم خفاف يتلقفون كل ما يسمعون ، فيملأون به الدنيا اقاويل واشاعات لايكلفون انفسهم التثبت من صحتها ، ولا يسألون انفسهم ماذا وراءها . ولا ما ينشأ عن الاذاعة بها ، ونشرها في وسط الجماعة وهي مشتبكة في قتال او وهي تتهيأ للقتال .

---

(١) النساء : ٨١ (٢) النساء : ٨٢

انسلاح الاشاعات ليس جديداً في هذه الايام وحرب الاعصاب ليست من مبتكرات هذا العصر وهاهو ذا القرآن يندد بالقوم : « اذا جاءهم امر من الامن او الخوف اذاعوا به ـ » فان اخبار النصر واخبار الهزيمة اخبار الاستعداد من هنا او من هناك اخبار الكر والفر في المعركة اخبار المؤن وطرقها ومقدارها .. قد لايرى من لايعلم ضرراً في اذاعتها بينما يتسقط العدو كل جزئية صغيرة ليؤلف من مجموعها علما يقينياً . وقد تتخذ وسيلة لبث الذعر ، او اشاعة الفوضى ، او التثبيط والتخذيل . او الاعتماد الكاذب على كفاية الجند او العدة او الذخيرة او المؤن في جبهة من الجبهات وهي ضعيفة . ومن ثم فالخطة المثلى هي ان لا يسمع الانسان كل مايقال : وان سمعه لايذيعه .

﴿ بشر المنافقين بان لهم عذابا اليما (١) ﴾

﴿ الذين يتخذون الكافرين اولياء من دون المؤمنين ايبتغون عندهم العزه فان العزة لله جميعاً (٢) ﴾

وما النفاق الا الضعف عن مواجهة الكرامة والقيم والاشخاص نتيجة الخوف والطمع .

النفاق مرحلة بين الايمان والكفر . وهم الذين يظهرون الاسلام ولكنهم لايتمحضون لله . انما يتخذون الكفار لانهم لايثقون بالله ، والله جلت عظمته يسأل في استنكار لم يضع هؤلاء المنافقون انفسهم هذا الوضع ؟

لم يتخذون الكافرين اولياء وهم يدعون الايمان « ايبتغون عندهم العزة » ويطلبون عندهم النصرة والمنعة ؟ « فان العزة لله جميعا » فمن استعز به وحده عز ومن طلب نصرته وحده انتصر .

﴿ وقد نزل عليكم في الكتاب ان اذا سمعتم ايات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره انكم اذا مثلهم ان الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا (٣) ﴾

واول مراتب النفاق ان يجلس المؤمن الى اعداء دينه وان يسمع

---

(١) النساء : ١٣٨ (٢) النساء : ١٣٩

(٣) النساء : ١٤٠

منهم الاستهزاء بآيات الله . فيسكت ويتغاضى ويسميه تسامحاً ، اوسعة صدر ، او يسميه تحرراً من التعصب وحرية الرأي .

وما هي الا الهزيمة تدب في اوصاله وتختلج في جوانحه فمن سمع الاستهزاء بدينه بين قوم فاما ان يقف موقف المدافع واما ان ينسحب وينسلخ منهم اذا لم تكن له بهم طاقة .

بعض سمات المنافقين

﴿ الذين يتربصون بكم فان كان لكم فتح من الله قالوا : الم نكن معكم . وان كان للكافرين نصيب قالوا : الم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين فالله يحكم بينكم يوم القيامة ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا (١) ﴾

فالسمة الاولى :

هي الزلفى للمسلمين ولا عداؤهم حسب مقتضيات الوقت . وايهام الفريقين ان للمنافقين دوراً ايجابياً ونفعاً واقعياً .

فلا يحسن الاستغناء عن خدماتهم ، ولا اهمالهم او معاداتهم « فان كان لكم فتح من الله قالوا : الم نكن معكم » نطلب لكم النصر والفتح!

---

(١) النساء : ١٤١

وان كان للكافرين نصيب قالوا لهم « الم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين » فحمينا ظهوركم واحطناكم بعوننا ومساعدتنا ؟ وهكذا يأكلون على المائدتين ويلعبون على الحبلين ، ويخادعون الفريقين .

ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى يراؤن الناس ولا يذكرون الله الا قليلا (١)

والسمة الثانية :

انهم لا يؤدون العبادات بحرارة وايمان « واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى . . . الخ - » فليس في عبادتهم انبعاث ذاتي ولا شوق الى لقاء الله جل وعلا انما هو مراءاة الناس . ويذكرون الناس كثيرا ولا يذكرون الله الا قليلا » وعندئذ فهم لا يطمئنون الى الله ، ولا يثبتون على قرار مكين . وهم مزعزعون حائرون ولا يشعرون لانفسهم وجوداً مستقلا ، ولا اهدافاً ذاتية ولا كرامة تعصمهم من الملق والرياء . فانهم يخافون الله وهي غفلة لا تصدر عن واع . . . فالله مطلع على النوايا والاسرار ، وما تخفي عليه خافية في الارض ولا في السماء . فمحاولتهم خداع الله عبث وغفلة « والله خادعهم » والله لا يخدع احداً ولكنه يدعهم وما هم فيه حتى يصطدموا بالعاقبة ، وهذا معنى الخداع .

مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء ومن

---

(١) النساء : ١٤٢

يضلل الله فلن تجد له سبيلا (١) ﴾

السمة الثالثة :

الصورة المستهزء المتأرجحة المهينة.. فانهم بهذه الذبذبة التي لا تستقر على حال ، وبذلك الرياء والنفاق وبذلك الخداع الذي يحاولونه مع الله قد اختاروا طريق الضلال وقد حقت عليهم سنة الله في ان يضلوا متى سلكوا هذا الطريق وابعدوا فيه « ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا »

﴿ يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين اولياء من دون المؤمنين اتريدون ان تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا (٢) ﴾

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

السمة الرابعة :

التملق للكافرين والمؤمنين فهو حقيقة ضخمة ما اجدر بنا ان نتدبرها مليا . وان نتأملها طويلا ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا » انه وعد من الله قاطع ، وحكم من الله جامع . واذا كان مظهر النفاق في المنافقين ان يتخذوا الكافرين اولياء من دون المؤمنين ، فان الله سبحانه وتعالى ينهى الذين آمنوا ان يتجهوا هذا المتجه ، ويحذرهم من ان يستحقوا بطشه وتنكيله .

﴿ ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا (٣) ﴾

---

(١) النساء : ١٤٣ (٢) النساء : ١٤٤

(٣) النساء : ١٤٥

العاقبة المخزية الداعية الى التحقير والتحـــذير والتنفير وماهي هذه العاقبة .

في الدرك الاسفل ـ في اي مكان ـ في النار انها صورة تتفق مع اوساخ الارض وثقلتها . ثقلة المطامع والرغائب التي تهبط بهم الى تملق الكافرين ومداراة المؤمنين والجزاء وفاقا للعقوبة فالدرك اليق بحالهم من كل مكان .

﴿ فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم ، يقولون نخشى ان تصيبنا دائرة فعسى الله ان يأتي بالفتح او امر من عنده ، فيصبحوا على ما اسروا في انفسهم نادمين (١) ﴾

﴿ ويقول الذين آمنوا : اهؤلاء الذين اقسموا بالله جهد ايمانهم انهم لمعكم ؟ حبطت اعمالهم فاصبحوا خاسرين (٢) ﴾

ان الاعتذار واحد والحجة واحدة يتشدقون بها ضعاف القلوب ضعاف العقيدة . ضعاف المبدأ . ضعاف الايمان يسوغون بها موالاتهم الكفار في كل زمان ومكان ـ فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون ـ : نخشى ان تدور علينا الدوائر ، وان تصيبنا هزيمة وشدة وان تمسنا ازمة وضائقة . فنواليهم لنتقي شرهم ، ولننال عونهم في المصائب والنوائب والازمات انها قولة قالها ابن ابي سلول ـ رأس النفاق ـ على عهد النبي ﴿ص﴾

(١) المائدة : ٥٢ (٢) المائدة : ٥٣

وقالها ويقولها من بعده كل « ابن ابي سلول » ويتخذ من الملحدين اصدقاء وحلفاء يرجو عندهم النصرة والعزة فلا يصيبه إلا الذل والهوان .

ويحذرهم الله ويصرخ بهم انني ما كشف المستور من نفاقهم ورياثهم فيصبحوا على ما اسروا في انفسهم نادمين . وعندئذ يقول الذين امنوا ـ اهؤلاء الذين اقسموا بالله جهد ايمانهم انهم لمعكم » اهؤلاء الذين كانوا يتظاهرون بالايمان و يؤكدونه بالأيمان هؤلاء قد انكشف امرهم ، فاذا هم منافقون لا يؤمنون اولئك الذين حبطت اعمالهم فاصبحوا خاسرين .

﴿ واذا جاءوكم قالوا : امنا ، وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به والله اعلم بما كانوا يكتمون (١) ﴾

هذا هو النفاق بعينه ليس لصاحبه ضمير ، ولا وجدان ولا قرار ولا استقرار ولا ثقة به ولا اطمئنان اليه ، ولا ولاء .

« قد دخلوا بالكفر » ما اثقلها من كلمة كأن الكفر متاع يحمل يدخلون بها « وهم قد خرجوا به » لا تفارقهم مادة النفاق ولا يفارقونها ولم تنفعهم الذكرى ولا الموعظة ولم يصل الى قلوبهم نور « والله اعلم بما كانوا يكتمون » .

﴿ اذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض غر هؤلاء دينهم ومن يتوكل على الله فان الله عزيز حكيم (٢) ﴾

---

(١) المائدة : ٦١ (٢) الانفال : ٤٩

ذلك الوقت الذي كان المنافقون ومرضى القلوب ، ينظرون الى قلة المؤمنين وكثرة المشركين .

كان ذلك على عهد الرسول الامين ولم يزل في كل وقت - يهزأون بالمسلمين ويتهمونهم بشتى الاقاويل والمفتريات - والذين في قلوبهم آفة المرض، لا يدركون حقيقة اسباب النصر واسباب الهزيمة وهم يرون ظواهر الامور . ولا تهديهم الى بواطنها بصيرة . ولا يدركون . حقيقة القوة الكامنة في العقيدة والمبدأ ، وبالخصوص العقيدة الاسلامية . وما هي الاقوة الاعتقاد المتين . وقوة الصلاحية لتنمية الحياة وترقيتها وقوة الفطرة التي تقوم عليها العقيدة وهذه القوى محجوبة - بالطبع - عن اصحاب القلوب المريضة .

فلا شك يظنون بالمسلمين وبمثذانهم يخدعون في موقفهم مغرورون بدينهم مفتحمون موارد التهلكة بانفسهم . ولكنهم يجهلون الحقيقة ولا يعرفون ان « من يتوكل على الله فان الله عزيز حكيم » بيده الحكم يدبر الامر ويضع الحق في محله - وله القوة يمنحها المتوكلين عليه ولكن هكذا كان من شأن المنافقين وهكذا يكون حيثما التقت قوة الايمان المطمئنة بقوة الطغيان الثائرة - في كل زمان وفي كل مكان - .

﴿ يا ايها الذين آمنوا مالكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم الى الارض . ارضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة الا قليل (١) ﴾

﴿ الا تنفروا يعذبكم عذابا اليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيئا ، والله على كل شيء قدير (٢) ﴾

المنافقون حرب على الاسلام وحواسيس في صفوف المسلمين وهم الدسيسة لشر القلق والاضطراب بينهم فلابد من ان يكشفهم الله للمسلمين ويظهر حقيقة حالهم امام الملا ويحاسبهم على الكيد والدس والعداء .

وفي هذه السورة فضيحة تامة لمواقف المنافقين .

ويبدأ الحديث عن المنافقين الذين اندسوا في جماعة المسلمين وتظاهروا بالاسلام بعد ان سيطر المسلمون على الموقف وظهر امرهم على مرأى ومسمع من المنافقين فعندئذ لم يجدوا هؤلاء الا المسالمة واحناء الرؤوس للمسلمين والكيد لهم في خارج الصفوف .

فابتدأهم سبحانه وتعالى معاتبا لتخلفهم عن الجهاد « يا ايها الذين آمنوا مالكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم الى الارض »

لماذا هذا التثاقل والتأخر خوفا على الحياة وعلى المال خوفا على اللذائذ والمصالح والمتاع .

---

(١) التوبة : ٣٨ (٢) التوبة : ٣٩

والخطاب وان كان لقوم معينين في موقف معين ولكنه عام في مدلوله لكل ذي عقيدة في الله .

والعذاب الذي يتهددهم مضاعف عذاب الآخرة وعذاب القلة في الدنيا .

وزيادة على ذلك يخسرون من النفوس والاموال اضعاف مايخسرون في الكفاح والجهاد .

« ويستبدل قوماً غيركم » يثبتون على العقيدة ، ويترفعون على اعداء الله « ولا تضروه شيئا » ولا يقام لكم وزن ولا تقدمون او تؤخرون في الحساب « والله على كل شيء قدير »

والاستعلاء على اصحاب النفوس الملتوية اثبات لشخصية الانسان الكريم .

﴿ لو كان عرضاً قريباً وسفراً قاصداً لاتبعوك ولكن بعدت عليهم الشقة ، وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم ، يهلكون انفسهم والله يعلم انهم لكاذبون (١) ﴾

فكثيرون هم اولئك الذين يتمايلون في الطريق الصاعد الى الافاق الكريمة .

كثيرون اولئك الذين يجهدون لطول الطريق فيتخلفون عن

---

(١) التوبة : ٤٢

الركب ويميلون الى عرض تافه او مطلب رخيص .

كثيرون تعرفهم البشرية في كل حين فليست بالقلة العارضة فانهم يعيشون على حاشية الحياة « وسيحلفون بالله لواستطعنا لخرجنا معكم » فهو الكذب الصاحب لضعف ابداً ومايكذب الا الضعفاء « يهلكون انفسهم » بهذا الحلف وبهذا الكذب الذي يوهمهم انه سبيل النجاة فيهلك الكاذب في الدنيا بكذبه وفي الآخرة يوم لايجدي النكران « والله يعلم انهم لكاذبون »

ثم يستعرض موقف جماعة من المنافقين الذين استأذنوا الرسول (ص) في التخلف ويصور موقفهم ويعطيك عنهم صورة زرية مناسبة لسقوط الهمة، وضعف العزيمة وسوء الطوية ، والعجز عن المواجهة .

﴿ انما يستأذنك الذين لايؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون (١) ﴾

الذين يستأذن لهم اصحاب القلوب المريضة ، الذين يتلكأون ويبحثون عن المعاذير لعل هناك عائقاً من العوائق يحول بينهم وبين النهوض للواجب المقدس الذين يتظاهرون به وهم يرتابون ويترددون في الطريق المعبد والخط المستقيم ولا يتردد عن هذا المسلك الواضح الا الذين في قلوبهم مرض « فارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون »

---

(١) التوبة : ٤٥

﴿ ولو ارادوا الخروج لاعدوا له عدة ولـكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين (١) ﴾

الممدات لديهم وافرة كانوا ذوي قدرة وعدة ولـكن كان فيهم رأس النفاق « ابن ابي سلول » « ولـكن الله كره انبعاثهم » لما يعلمه من حقيقتهم ونفاقهم وداخليتهم المنطوية على الشر للمسلمين « فثبطهم » ولم يبعث فيهم روح الجهاد بل « قيل : لهم : (اقعدوا مع القاعدين » مع العجائز والاطفال فهذا المـكان هو المناسب لهم الساقطة والقلوب الفلقة ، والنفوس العارية من الايمان وتأخرهم كان مصلحة للمسلمين وخيرا لانهم .

﴿ لوخرجوا فيكم مازادوكم الاخبالا ولاوضعوا خـلالـكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم والله عليم بالظالمين (٢) ﴾

والقلوب المرتابة تنشر الخور والضعف في الجماعة والنفوس الملتوية خطر على المبدأ والجيوش معاً ولوخرجت تلك الفئة من المنافقين لمازادت المسلمين قوة بل لزادتهم اضطرابا وقلقاً ولاسرعوا بينهم بالتفرقة والوقيعة فعدم خروجهم مع المسلمين وتخلفهم مع القاعدين اولى بهم وافضل (والله عليم بالظالمين) .

﴿ لقد ابتغوا الفتنة من قبل وقلبوا لك الامور حتى جاء الحق

---

(١) التوبة : ٤٦ (٢) التوبة : ٤٧

﴿وظهر امر الله وهم كارهون (١)﴾

فالماضي خير شاهد ودليل على ما في نفوسهم وسوء طويتهم فلقد وقفوا في وجه الرسول (ص) وبذلوا ماني وسعهم من قوة حتى غلبوا على امرهم فاتسلموا وفي القلب ما فيه وانتصرت كلمة الله (وهم كارهون)

﴿ومنهم من يقول أئذن لي ولا تفتني الا في الفتنة سقطوا وان جهنم لمحيطة بالكافرين (٢)﴾

معاذير فاشلة واقوال مزيفة فمثل هذا كان المنافقون يعتذرون ولكن الردجاءهم مزقاً لمفترياتهم (الا في الفتنة سقطوا وان جهنم لمحيطة بالكافرين) فكان جهنم هاوية تحيط بهم وتقفل عليهم النوافذ والابواب فلا يفلتون .

﴿ان تصبك حسنة تسؤهم وان تصبك مصيبة يقولوا قد اخذنا امرنا من قبل ويتولوا وهم فرحون (٣)﴾

انهم يسوؤهم ان يجد الرسول والمسلمون خيرا وانهم يفرحون لما يحل بالمسلمين من مصائب ، وما ينزل بهم من مشقة « وان تصبهم مصيبة . . . » قالوا : قد اخذنا حذرنا وتنبهنا خوفا من ان يصيبنا ما اصاب اصحاب محمد (ص) ولكنهم « يتولوا وهم فرحون » لنجاتهم

---

(١) التوبة : ٤٨ (٢) التوبة : ٤٩

(٣) التوبة : ٥٠

وتخلصهم وتخلفهم عن الكفاح والغزو والجهاد .

﴿ قل : هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين ، ونحن نتربص بكم ان يصيبكم الله بعذاب من عنده او بايدينا . فتربصوا انا معكم متربصون (١) ﴾

فماذا يتربص اصحاب القلوب المريضة بالمتيقن ، انها الحسنى على كل حال ، النصر مع الحياة واعلاء كلمة الله او الشهادة مع اعلى مراتب الدرجات في الآخرة فهو جزاؤهم لا محالة .

وماذا يتربص المتقون بالمنافقين انه العذاب الاكبر عذاب الله : او تسليط المؤمنين عليهم ليطشوا بهم .

« فتربصوا انا معكم متربصون » والعاقبة معروفة للفريقين الخيرة للمؤمنين والسيئة للمشركين والمنافقين المعاندين .

﴿ قل انفقوا طوعا او كرها لن يتقبل منكم انكم كنتم قوما فاسقين (٢) ﴾

انها صورة المنافقين في كل وقت . جبن وضعف . خوف ومداراة وقلب لا يستقر على حال منحرف في اتجاهه ظاهر مزيف خال من معاني الحقيقة وتظاهر مجرد عما يكنه الضمير .

﴿ وما منعهم ان تقبل منهم نفقاتهم الا انهم كفروا بالله

---

(١) التوبة : ٥٢ (٢) التوبة : ٥٣

وبرسوله ولا يأتون الصلاة الا وهم كسالى ولا ينفقون الا وهم كارهون (١)

ما كان الله ليقبل منهم هذه الحركات الظاهرة التي لاتتصل بها اي عقيدة ولا يصاحبها شعور دافع يكشف عن اخلاص في النية وصدق في العمل لانهم « لا يأتون الصلاه » عن باعث ينبثق من اعماق الضمير انما يجرون انفسهم اليها جراً ويتقدمون اليها وهم كسالى . ولا ينفقون اموالهم الا كرهاً وخوفا واذا بالنداء من الحق جل جلاله يصرخ بنبيه (ص)

فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا وتزهق انفسهم وهم كافرون (٢)

نعم انما اموالهم واولادهم فتنة يسوقها الله اليهم ليعذبهم بها والذين يملكون الاولاد والاموال لم يزالوا في كل عهد يبخلون بما اعطاهم الله ولكن لهم عذاب اليم ومصيرهم سوء الجحيم عندما « تزهق انفسهم وهم كافرون »

ويحلفون بالله انهم لمنكم ، وماهم منكم ولكنهم قوم يفرقون (٣)

كان المنافقون يدسون انفسهم فى صفوف المسلمين - ولم تزل

---

(١) التوبة : ٥٤ (٢) التوبة : ٥٥

(٣) التوبة : ٥٦

طريقتهم على هذا المنوال ـ لاعن ايمان واعتقاد بل عن خوف وتقية ، ثم يحلفون انهم من المسلمين فهذه السورة تفضحهم وتكشف دخيلة نفوسهم فهي الفاضحة التي تكشف رداء المداورة وتمزق ثوب النفاق .

﴿ لويجدون ملجأ او مغارات او مـــدخلا لولوا اليه وهم يجمحون (١) ﴾

انهم جبناء فهم متطلعون دائما الى مخبأ يحتمون به ، ويأمنون فيـــه حصنا او نفقا او مغارة .

انهم خائفون وجلون مطاردون يطاردهم القلق والاضطراب الداخلي وعند ذلك يريدون ان يظهروا الاخـــلاص (يحلفون بالله انهم لمنكم) ليدرأوا مافى نفوسهم وليتقوا انكشاف سريرتهم .

﴿ ومنهم من يلمزك فى الصدقات فان اعطوا منها رضوا ، وان لم يعطوا منهـا اذاهم يسخطون (٢) ﴾

و بعض المنافقين يلمزك بالصدقات ويصيب قسمتك وعدالتك فى توزيع الصدقات ولا يقولون ذلك الالحساب انفسهم واطماعهم وانانيتهم (فان اعطوا منها رضوا) لم يبالوا بالحق والعدل والدين (وان لم يعطوا اذاهم يسخطون) ويحقدون .

﴿ ولو انهم رضوا ماآتاهم الله ورسوله ، وقالوا حسبنـــا الله

(١) التوبة : ٥٧ (٢) التوبة : ٥٨

سيؤتينا الله من فضله ورسوله انا الى الله راغبون (١) ﴾

فلوانهم اقتنعوا بقسمة الله ورسوله ورضوا بعدالته . وسلموا امرهم اليه سبحانه وتعالى « وقالوا : حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله » وقالوا : انا الى ربنا راغبون لكان ذلك خيرا لهم ولكن قلوب المنافقين لم يشرف فيها نور اليقين ولم تخالط بشاشة الايمان ارواحهم .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

(١) التوبة : ٥٩

﴿ يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ، ومأواهم جهنم وبئس المصير ﴾

﴿ ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون : هو اذن قل اذن خير لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين ورحمة للذين آمنوا منكم والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم (١) ﴾

انهم يجدون في النبي ﴿ ص ﴾ ادب النفس ، وادب اللسان وادب الايمان في الاستماع الى الناس باقبال وسماحة ، ويعاملهم بظاهرهم حسب اصول شريعته ، ويهش لهم ويفسح لهم عن صدره فيسمون هذا الادب الرفيع بغير اسمه ويصفونه بغير حقيقته ويقولون عنه « هو اذن » اي سماع لكل قول نعم هو « اذن خير لكم » يستمع اليكم فيما تقولون بتأدب عال واخلاق رفيعة ولا يجزيكم بقولكم ولا يرميكم بخداعكم ، ولا يأخذكم برياتكم « ويؤمن بالله » فيصدق كل ما يخبره به عنكم وعن سواكم « ويؤمن للمؤمنين » فيطمئن اليهم ويثق بهم ، لانه يعلم منهم صدق الايمان الذي يعصمهم من الكذب والالتواء والرياء .

﴿ ورحمة للذين آمنوا منكم ﴾ الذين يأخذ بيدهم الى الخير . اما الذين ينافقون ولا يؤمنون ، ويؤذون رسول الله فلهم عذاب اليم من رب العالمين .

﴿ يحلفون بالله لكم ليرضوكم والله ورسوله احق ان يرضوه ان كانوا مؤمنين (٢) ﴾

---

(١) التوبة : ٦١ (٢) التوبة : ٦٢

يحلفون بالله لترضى الناس عنهم ولـكن الله ورسوله احق من ان يرضوه « ان كانوا مؤمنين » ولـكنهم بعيدون عن حقيقة الايمان .

﴿ الم يعلموا انه من يحادد الله ورسوله فان له نار جهنم خالداً فيها ذلك الخزي العظيم (١) ﴾

فانهم ليدعونَ الايمان . وهم يؤذون رسول الله ويحاربون دينه ومن كانت سيرته العداء لله والمحاربة ﴿ فان له نار جهنم خالداً فيهـا ، ذلك الخزي العظيم ﴾ .

﴿ يحذر المنافقون ان تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم قل : استهزؤا ان الله مخرج ما تحذرون (٢) ﴾

انهم يخشون ان يكشف الله سترهم وان يطلع الرسول على نواياهم ولـكن جريمتهم عظيمة ... الاستهزاء آيات الله ورسوله و بعقيدته ودينه .

﴿ ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب قل : ابالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن (٣) ﴾

﴿ لاتعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم ان نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة بانهم كانوا مجرمين (٤) ﴾

---

(١) التوبة ٦٣ (٢) التوبة : ٦٤

(٣) التوبة : ٦٥ (٤) التوبة : ٦٦

طبيعة المنافقين

﴿ المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون ايديهم نسوا الله فنسيهم ان المنافقين هم الفاسقون (١) ﴾

المنافقون والمنافقات من طينة واحدة وطبيعة واحدة .المنافقون في كل زمان وفي كل مكان تختلف افعالهم واقوالهم ولكنها ترجع الى طبع واحد وتنبع من معين واحد ، سوء الطوية ، ولؤم السريرة ، والغمز والدس، والضعف عن المواجهة ، والجبن عن المصارحة تلك سماتهم الاصيله في نفوسهم. واما سلوكهم فهو الامر بالمنكر والنهي عن المعروف، ويفعلون ذلك دسا وهمسا وغمزا ولمزا نسوا الله ولا يحسبون الاحساب الناس وحساب المصلحة ، ولا يخشون الا الاقوياء من الناس ويداورونهم - فنسيهم الله فلا قيمة لهم ولا اعتبار . وانهم لكذلك في الدنيا بين الناس وانهم لكذلك في الآخرة عند الله ﴿ ان المنافقين هم الفاسقون ﴾ فهم خارجون عن الايمان منحرفون عن الطريق

---

(١) التوبة : ٦٧

﴿ وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها هي حسبهم ولعنهم الله ، ولهم عذاب مقيم (١) ﴾

وعدهم الله مصيراً كمصير الكفار ﴿ نار جهنم خالدين فيها ﴾ ﴿ هي حسبهم ﴾ . وهي مقابل اجرامهم ﴿ ولعنهم الله ﴾ فهم مطرودون من رحمته ﴿ ولهم عذاب مقيم ﴾ هذه الطبيعة الفاسقة المنحرفة الضالة ليست جديدة في تاريخ البشرية بل لها امثال ونظائر ، ولقد حوى تاريخ البشرية من قبل هؤلاء نماذج كثيرة من هذا الطراز ولقد لاقى السابقون مصائر تليق بفسوقهم عن الفطرة المستقيمة والطريق القويمة ، بعدما استمتعوا بنصيبهم المقدر لهم في هذه الارض . وكانوا اشد قوة واكثر اموالا واولادا ﴿ كالذين من قبلكم كانوا اشد منكم قوة واكثر اموالا واولاداً ، فاستمتعوا بخلاقهم ، فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم وخضتم كالذي خاضوا اولئك حبطت اعمالهم في الدنيا والآخرة واولئك هم الخاسرون (٢) ﴾

انها الفتنة بالقوة ، والفتنة بالاموال والاولاد . اولئك الذين انحرفت قلوبهم عن مصدر القوة والنعمة فهم يتمتعون ويأكلون كما تأكل الانعام ﴿ اولئك حبطت اعمالهم في الدنيا والآخرة ﴾ وبطلت من اساسها لانها كالنبتة بلا جذور ، لا تستقر ولا تنمو ولا تزدهر ﴿ واولئك هم الخاسرون ﴾ .

---

(١) التوبة : ٦٨ (٢) التوبة : ٦٩

هؤلاء الذين يستمتعون غير شاعرين ، ويسيرون في طريق الملكى ولا يتعظون ...

هؤلاء ـ ﴿ الم يأتهم نبأ الذين من قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابراهيم واصحاب مدين والمؤتفكات اتتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون ـ ﴾ (١) ممن ساروا في نفس الطريق كقوم نوح وقد غمرهم الطوفان وطواهم اليم في تيار الفناء المرهوب وكقوم عاد وقد اهلكوا بريح صرصر عاتية « وثمود » وقد اخذتهم الصيحة من كل مكان « وقوم ابراهيم » وقد اهلك طاغيتهم وانجى ابراهيم « واصحاب مدين » وقد اخذتهم الرجفة وخنقتهم الظلة « والمؤتفكات » قرى قوم لوط ـ وقد قطع الله دابرهم الا الاقلين الم يأتهم هؤلاء نبأ الذين ﴿ اتتهم رسلهم بالبينات ﴾ فكذبوا بها فاخذهم الله بذنوبهم ﴿ فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون ﴾

نعم ... ان النفوس المتعجرفة المنحرفة تبطرها القوة فلا تذكر . وتعميها النعمة فلا تنظر . وماتنفع عظات الماضي مع هذه النفوس الخبيثة .

وان كثيرا ممن يبتليهم الله بالقوة وبالنعمة لتغشى ابصارهم وبصائرهم غشاوة فلا يبصرون مصارع الاقوياء قبلهم . ولا يستشعرون مصير البغاة الطغاة من الغابرين . عندئذ تحق عليهم امنة الله وتجري فيهم

---

(١) التوبة : ٧٠

سنته ويأخذهم اخذ عزيز مقتدر وهم في نعمائهم يتقلبون وبقوتهم يتخايلون والله من ورائهم محيط .

انها الغفلة والعمى والجهالة نراها تصاحب القوة والنعمة والرخاء نراها في كل زمان وفي كل مكان . الا من رحم الله من عباده المخلصين .

﴿ يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير (١) ﴾

لقد اغضى الرسول عن المنافقين كثيراً وصفح عنهم كثيراً ، فها هو ذا يبلغ الحلم غايته وتبلغ السماحة ذروتها فلم يجد كل ذلك . فلابد من اتباع خطة جديدة . فامره ربه بان يلحقهم بالكافرين ويحاربهم على السواء . ويجاهدهم جهاداً عنيفا لاهوادة فيه ولا رحمة .

ان اللين مواضعه والشدة مواضعها فاذا انتهى امد اللين . فلتكن الشدة . واذا انقضى عهد المداولة والصبر فليكن الحسم القاطع . . . والدعوات مقتضياتها ، واللين والصفح في بعض الاحيان قد يوقعان في المخاطر . والمطاولة قد تضر .

﴿ يحلفون بالله ماقالوا ، ولقد قالوا كلمة الكفر ، وكفروا بعد اسلامهم ، وهموا بما لم ينالوا وما نقموا الا ان اغناهم الله ورسوله من فضله فان يتوبوا يك خيراً لهم وان يتولوا يعذبهم الله عذابا اليما في الدنيا

(١) التوبة : ٧٣

والآخرة وما لهم في الارض من ولي ولا نصير (١) ﴾

هذه الآية تكشف عن دخيلة القوم في كل عهد. طريقهم وسيرتهم التلكوء والمداهنة والخداع.

ولكن الله اظهر ما تنطوي عليه صدورهم على مثل هذه الخيانة من الكفر بعد الاسلام « وما نقموا الا ان اغناهم الله ورسوله من فضله » ثم يعقب على هذا التعجب من امرهم، بعد كشف خبيئاتهم بالحكم الفاصل: « فان يتوبوا يك خيراً لهم، وان يتولوا يعذبهم الله عذاباً اليما في الدنيا والآخرة ومالهم في الأرض من ولي ولا نصير — بعد كل جريمة. وبعد كل نفاق. بعد كل هذا يظل باب التوبة مفتوحاً على مصراعيه. فمن شاء لنفسه الخير فليدلف الى الباب المفتوح. ومن اراد ان يمضي في طريقه الاعوج فالعاقبة كذلك معروفة. العذاب الاليم في الدنيا والآخرة وانعدام الناصر والمعين في هذه الأرض... ولمن شاء ان يختار، وهو وحده الملوم.

---

(١) التوبة: ٧٤

بعض علامات المنافقين

﴿ ومنهم من عاهد الله لئن اتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين (١) ﴾

ومن علامات المنافق انه اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا أؤتمن خان .

عاهدوا الله ساعة العسرة ووقت الفقر لئن رزقنا الله من فضله ليبذلن الصدقة وليصلحن العمل ـ فلما اتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون (٢) فعندما استجاب الله لهم ورزقهم من فضله نسوا عهده وتنكروا لوعدهم وادركهم الشح والبخل .

﴿ فاعقبهم نفاقا في قلوبهم الى يوم يلقونه بما اخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون (٣) ﴾

والذي يعاهد الله ثم يخلف العهد ، والذي يكذب على الله فلا يفي بما وعد ولا يسلم قلبه من النفاق .

---

(١) التوبة : ٧٥ (٢) التوبة : ٧٦

(٣) التوبة : ٧٧

﴿ الم يعلموا ان الله يعلم سرهم ونجواهم وان الله علام الغيوب (١) ﴾

الم يعلموا « مع دعائهم الايمان » ان الله مطلع على السرائر عالم بما يدور بينهم من احاديث يحسبونها سراً والله سبحانه وتعالى عالم بحقيقة النوايا التي في الصدور .

﴿ فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله وقالوا لاتنفروا في الحر قل نار جهنم اشد حراً لو كانوا يفقهون (٢) ﴾

هؤلاء الذين قعدبهم ضعف الهمة وهزال النخوة وخواء القلب من الايمان

هؤلاء المخلفون الذين فرحوا بالراحة والسلامة ـ خلاف رسول الله ـ وتركوا المجاهدين يلاقون الحر والجهد ، وحسبوا ان السلامة غاية يحرص عليها الرجال « وكرهوا ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله » .. « وقالوا : لاتنفروا في الحر » وهي قولة المسترخي الذي لايصلح لشيء مما يصلح له الرجال. هؤلاء الذين يشفقون من المتاعب ، وينفرون من الجهد.

هؤلاء هم الذين يؤثرون الراحة الرخيصة على الكدح الكريم ويفضلون السلامة الذليلة على الخطر العزيز .

---

(١) التوبة : ٧٨ (٢) التوبة : ٨١

وقالوا : لاتنفروا في الحـــر قل : نار جهنم اشد حراً لو كانوا يفقهون » فانهم يخافون من حر الارض ويؤثرون الراحة البليدة التي لاتليق بالرجال . فكيف بهم في حر جهنم وهي اشد حراً ، واطول امداً ـ ﴿ فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيراً جزاء بما كانوا يكسبون (١) ﴾

فليضحكوا اياما معدودة في هذه الارض . وليبكوا طويلا في ايام الآخرة جزاء بما كانوا يكسبون .

هؤلاء الذين تخلفوا عن الركب في اول مرة . هؤلاء لايصلحون لكفاح ولا يرجون لجهاد .

﴿ فان رجعك الله الى طائفة منهم فاستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي ابداً ولن تقاتلوا معي عدوا انكم رضيتم بالقعود اول مرة فاقعدوا مع الخالفين (٢) ﴾

فالذين يضعفون ويتخلفون يجب نبذهم بعيداً عن الصف وقاية له من التخلخل والهزيمة والتسامح مع الذين يتخلفون عن الصف في ساعة العسرة ثم يعودون اليه في ساعة الرخاء ، جريمة على الصف كله ، وعلى الدعوة التي يكافح في سبيلها كفاحه المرير ...

« فقل لن تخرجوا معي ابداً ولن تقاتلوا معي عـدوا » لانكم رضيتم بالقعود اول مرة فلا تستحقون الاحترام والتقدير فلا مسامحة في

---

(١) التوبة : ٨٢ (٢) التوبة : ٨٣

هذا ولا مجاملة « فاقعدوا مع الخالفين »

هذا هو الطريق الذي رضيه الله تعالى لنبيه الكريم ، وانه الطريق هذه الدعوة ورجالها ابداً فليعرف اصحابها ذلك الطريق.

﴿ ولا تصل على احد منهم مات ابداً ولا تقم على قبره انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون (١) ﴾

لاتعاملهم معاملة المسلمين ولاتصل عليهم كماتصلي على المسلمين لان الكافر لايحترم ولايقدر ـ « ولا تقم على قبره » لانهم « كفروا بالله ورسوله » ودعهم وامرهم حتى يموتوا « وهم فاسقون »

﴿ ولا تعجبك اموالهم واولادهم انما يريد الله ان يعذبهم بها في الدنيا ، وتزهق انفسهم وهم كافرون (٢) ﴾

لاتقم وزنا لاموالهم واولادهم لان الاعجاب بها نوع من التكريم الشعوري لهم . وهم لايستحقونه لافي الظاهر ولا في الشعور . . انما هو الازدراء لهم ولما يملكون .

﴿ واذا نزلت سورة ان آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله استأذنك اولوا الطول منهم وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين (٣) ﴾

انها طبيعة النفاق والضعف ، وانها خطة الاعوجاج والالتواء

---

(١) التوبة : ٨٤ (٢) التوبة : ٨٥

(٣) التوبة : ٨٦

فاذا نزلت سورة تامرهم بالجهاد وتحثهم على طاعة الله وطاعة رسوله ـ جاء اولوا الطول اصحاب القوة والمال يقدمون بين ايديهم المعـــذرة والحجة ويطلبون القعود مع النساء والعجزة . دون ان يستشعروا مافي هـــذه القعدة الذليلة من صغار وهو ان ، مادام فيها السلامة . وطلاب السلامـة والراحة لايشعرون بالعار فالراحة هدف الراضين بالدون .

﴿ رضوا بان يكونوا مـــع الخوالف وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون (١) ﴾

رضوا بان يكونوا مع النساء مع العجزة مـــع الخوالف . هم هؤلاء المؤاخذون بتخلفهم عن الجيش المعيرون بقعدتهم مـــع الخوالف ، مؤاخذون بنكولهم عن النهوض بالواجب .

﴿ انما السبيل على الذين يستأذنونك وهم اغنياء رضوا بان يكونوا مع الخوالف وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون (٢) ﴾

انما السبيل عليكم ايها القادرون على الزحف الذين يستأذنون في التخلف عن القافلة وهم اغنياء ـ اغنياء في الصحة وفي القدرة وفي المال.

ولـكن ماجزاء المتخلف عن النجدة

واي نجدة هي ؟

النجدة في سبيل الحق

---

(١) التوبة : ٨٧ (٢) التوبة : ٩٣

نعم جزاؤه كما قال : ان يكون مع الخوالف والختم على قلوبهم بسور من البلادة والخمول . والغلق على منافذ الشعور والعلم فيهم . وان بلادة الكسل والخمول لتغلق المنافذ والمشاعر وتطبع على القلوب والعقول.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

معاذير المنافقين

﴿ يعتذرون اليكم اذا رجعتم اليهم قل لاتعتذروا لن نؤمن لكم قد نبأنا الله من اخباركم وسيرى الله عملكم ورسوله ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون (١) ﴾

يعتذرون اليكم عن تخلفهم وقعودهم يعتذرون اليكم عن فعلتهم لانهم يخجلون من الظهور بها عارية، ومن الكشف عن اسبابها الحقيقية وهي ايثار الراحة والسلامة وضعف الايمان .

قل : لن نطمئن اليكم وان نقبل معاذيركم ولن نسمع لقولكم قد كشف الله ماتنطوي عليه صدوركم . وقص علينا دوافع اعمالكم وحدثنا عن حالكم وتصرفاتكم .

لاتعتذروا فلا فائدة في الاعتذار واعملوا ليرى الله عملكم ورسوله وجزاؤكم عنده «ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون» لايخفى عليه شيء لافي الارض ولا في السماء مطلع على نواياكم . فلا داعي الى الكذب والمداراة وتقديم المعاذير فانها تنفعكم عند من يجهل حالكم

---

(١) التوبة : ٩٤

واما امام غالم الغيب والشهادة فلا تنفع امامه بحيلكم ومداهنتكم .

﴿ سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم فاعرضوا عنهم انهم رجس ومأواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون (١) ﴾

اعرضوا عنهم اهمالا وازدراء ولا يلتفت احد منكم اليهم لانهم نكثوا العهد وخرجوا عن الجماعة المسلمة .

اعرضوا عنهم لانهم رجس . احذروامنهم وابعدوا عنهم لايلوثوكم باروا حهم النجسة واعمالهم القذرة وانحرافهم عن جادة الحق .

واتبعوا اهواءهم لعل هناك سببا . . !

ولكن خابت امالهم ، وفشلت مساعيهم ، واندحر الباطل وزهق ولفظ انفاسه الاخيرة ... وارتفعت راية الحق ثانيا في كل بلد مسلم وفي كل ارض مسلمة في ارضنا ارض الانبياء ومرا قد الاوصياء .

تقهقر الكفر والالحاد وخابت مساعي المنافقين في كل زمان وارادوا الرجوع الى الجادة وسيؤكدون انهم تابوا ويحلفون لكم .

ولكن لاتركنوا اليهم وكونوا على حذر منهم لان الشيطان معهم والنفاق شعارهم ودثارهم « انهم رجس » ومأواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون » .

﴿ يحلفون لكم لترضوا عنهم فان ترضوا عنهم فان الله

---

(١) التوبة : ٩٥

لا يرضى عن القوم الفاسقين (١) ﴾

سبحان الله ... !؟

يطلبون رضى العبد لا رضى الخالق ويحلفون لكم لترضوا عنهم وقد اغضبوا الله من قبل بتخلفهم ـ فان ترضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين ـ .

انما الحياة كفاح . ولا جل الكفاح يعيش الانسان . والكفاح الحقيقي التضحية والبذل في سبيل الحق تعالى .

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

(١) التوبة : ٩٦

قلوب المنافقين

﴿ واذا ما انزلت سورة فمنهم من يقول : ايكم زادته هـذه ايمانا فاما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون (١) ﴾

سؤال يستدعي العجب والريب

ايكم زادته هذه ايمانا . لايقولها الا منافق فهو لايشعر بتأثيرها في قلبه . ومع ذلك يتساءل هل هذه السورة آثرت في القلوب .

نعم « فاما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون »

﴿ واما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجساً الى رجسهم وماتوا وهم كافرون (٢) ﴾

فالجواب حاسم لفلتهم وحيرتهم فالذين آمنوا ازدادوا ايمانا وقد شعروا عناية الله بهم فزادتهم يقينا واخلاصاً . واما اصحاب القلوب المريضة فلم تزدهم الا نفاقا ورجسا وماتوا وهم كافرون الى جهنم وبئس المصير .

﴿ اولا يرون انهم يفتنون في كل عام مرة او مرتين ثم لايتوبون ولاهم يذكرون (٣) ﴾

---

(١) التوبة : ١٢٤ (٢) التوبة : ١٢٥

(٣) التوبة : ١٢٦

يفتنون بكشف نياتهم او بنصر المسلمين بدون المنافقين والفتنة دائمة الوقوع كثيرة التكرار في كل عهد ولم تخلص بعهد الرسول (ص) بل مازال المنافقون يفتنون ولا يتوبون ولكن يزدادوا كفراً ونفاقا.

﴿ واذا ما انزلت سورة نظر بعضهم الى بعض : هل يراكم من احد ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم بانهم قوم لا يفقهون (١) ﴾

واننا حين نتلو هذه الآية نستحضر مشهد هؤلاء المنافقين فاذا نزلت سورة فاذا بعضهم ينظر الى بعض ويغمز غمزة الريب - وهل يراكم من احد » من الموجودين ثم تلوح لهم جماعة من المؤمنين فاذا هم يتسللون على اطراف الاصابع من الحذر « ثم انصرفوا » ولكن العين التي لا تنام لا تغفل عنهم - صرف الله قلوبهم » عن الهدى بالهامن دعوة قاصمة تناسب فعلتهم المريبة فانهم يستحقون ان يظلوا في ظلالهم يعمهون « بانهم قوم لا يفقهون » عطلوا قلوبهم عن وظيفتها فهم يستحقون الخزي والعذاب الاليم.

﴿ ومن الناس من يقول : آمنا بالله فاذا اوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله ، ولئن جاء نصر من ربك ليقولن : انا كنا معكم او ليس الله باعلم بما في صدور العالمين (٢) ﴾

ذلك الفريق من الناس يعلن كلمة الايمان في الطمأنينة والراحة يحسبها هينة الحمل ، خفيفة المؤونة ...

---

(١) التوبة : ١٢٧ (٢) العنكبوت : ١٠

« فاذا اوذي في الله » بسبب اظهاره للايمان « جعل فتنة الناس كعذاب الله » فاستقبلها في خوف وجزع واختلت في نفسه القيم ، واهتزت في ضميره العقيدة ، وتصور ان لاعذاب بعد هذا الاذى الذي يلقاه . وقال في نفسه : هاهوذا عذاب شديد اليم ليس وراءه شيء فعلام اصبر على الايمان وعذاب الله لايزيد على ماانا فيه من العذاب . وان هو الا الخلط بين اذى يقدر على مثله البشر و بين عـــذاب الله الذي لايعرف احد مداه .

وذلك كان موقفهم في ساعة العسرة من التخاذل والتهافت والتهاوي وسوء التصوير وخطأ التقدير .

﴿ ولئن جاء نصر من ربك ليقولن : انا كنا معكم ﴾

حين يجيء الرخاء تنبث الدعوى العريضة وينتفش المنزوون المتخاذلون ، ويستأسد الضعفاء المهزومون فيقولون « انا كنا معكم » ... « اوليس الله باعلم بما في صدور العالمين » اوليس يعلم ماتنطوى عليه تلك الصدور من صبر او جزع ومن ايمان او نفاق ؟ فمن الذي يخدعه هؤلاء وعلى من يموهون ﴿ وليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمن المنافقين(١) ﴾ وليكشفهم فيعرفون ، فما كانت الفتنة الا ليتبين الذين آمنوا ويتبين المنافقون .

---

(١) العنكبوت : ١١

هجوم عنيف على المنافقين

﴿ الم تر الى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم ما هم منكم ولا منهم ويحلفون على الكذب وهم يعلمون (١) ﴾

هذه حملة على كل من يتولى قوما غضب الله عليهم ـ وان كان نزول هذه الآية على القوم الذين تولوا اليهود ، ولكنها عامة لكل من يتولى اعداء الله من اليهود والنصارى والشيوعيين الملحدين .

فهذه الحملة تدل على ان المنافقين كانوا يعملون في الكيد للمسلمين ولم يزالوا يتآمرون ، مع الداعداء الاسلام على المسلمين ولم يكفوا .

وتدل ايضا على ان عظمة الاسلام وسلطانه قد ارتفعت وقويت بحيث يخافها من في قلبه مرض ، فعند ذلك يخافون ان يواجهوا الحقيقة . يحذرون ان يواجهوا النبي (ص) في عهده كما يحذرون من مواجهة المؤمنين في كل زمان وفي كل مكان ، فيحيكون التدابير والمؤامرات ـ الى الحلف بالكذب لانكار ما ينسب اليهم من اقوال ومفتريات وهم يكذبهم عالمون .

---

(١) المجادلة : ١٤

ولـكن الحذر ايها المؤمن منهم ـ ماهم منكم ولا منهم ـ وحسابهم على الله وحده الذي اعد لهم عذابا شديداً .

ـ انهم ساء ما كانوا يعملون ـ يظهرون الايمان ويخفون الكفر .

﴿ اتخذوا ايمانهم جنة فصـــدوا عن سبيل الله فلهم عذاب مهين (١) ﴾

﴿ لن تغنى عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون (٢) ﴾

ولـكن يالفضيحة والعار قد بلغ النفاق غايته ـ فيحلفون له كما يحلفون لـكم ـ ويحسبون انهم على شيء ـ والنفاق مصاحبا لهم الى يوم القيامة ويريدون ان يخفوا حتى على الله نفاقهم وهو عالم بما في صدورهم ولـكن لايشعرون ـ الا انهم هم الـكاذبون ـ ولقد استولى عليهم الشيطان ـ فانساهم ذكر الله ـ والقلب الذي ينسى ذكر الله يفسد ويتمحض للشر ـ اولئك حزب الشيطان ـ ومن كان مع الشيطان فهو الشر الخالص ـ الذي ينتهى الى الخسران المبين ـ الا ان حزب الشيطان هم الخاسرون ـ

---

(١) المجادلة : ١٦ (٢) المجادلة : ١٧

المظهر الخادع

﴿ الم تر الى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من اهل الكتاب لئن اخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم احداً ابداً وان قوتلتم لننصرنكم والله يشهد انهم لكاذبون (١) ﴾

﴿ لئن اخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم ليولن الادبار ثم لا ينصرون (٢) ﴾

﴿ لانتم اشد رهبة في صدورهم من الله ذلك بانهم قوم لا يفقهون (٣) ﴾

هذه الآيات تقص علينا ماقاله المنافقون ليهود بني النضير ، وهي ايضاً شاهداً لماقاله الشيوعيون لبعض المتطفلين على الدين .

ولكن - ويالاسف - الجميع لم يفوا بما وعدوا وخذلوهم ولم ينصروهم حتى اتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب .

ولكن المظاهر الخلابة والقوالب العريضة من الاجسام والهياكل

---

(١) الحشر : ١١ (٢) الحشر : ١٢

(٣) الحشر : ١٣

الضخمة المحشوة ـ بالتبن ـ قد تخدع .

فنرى تضامن الشيوعيين والكافرين فيما بينهم وعصبيتهم لبعضهم.

كما نرى تلك الفئة المنافقة المجتمعة احيانا في معسكر واحد . ولكن الخبر الجازم المتيقن ياتينا من الحق تعالى بانهم ليسوا كذلك في حقيقتهم . وماهو الا مظهر خارجي خادع ... وبين اللحظة واللحظة ينكشف ستار الخداع والمكر . فيبرز من وراء الحجب والستائر صدق الخبر في دنيا الواقع المنظور . وتنكشف الحال في داخل المعسكر الواحد، قائم على اختلاف المصالح وتفرق الاهواء وتصادم الاتجاهات انما ينال المنافقون والكفار من المسلمين ... عندما تتفرق قلوب المسلمين ، فلا يعودون يمثلون حقيقة المؤمنين . فاما في غير هذه الحالة فالمنافقون اضعف واعجزوهم والذين كفروا . متفرقوا الاهواء والمصالح والقلوب ـ باسهم بينهم شديد تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى » .

﴿ واذا رايتهم تعجبك اجسامهم وان يقولوا تسمع لقولهم كانهم خشب مسندة يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله انى يؤفكون .

سورة المنافقين

اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون .

اتخذوا ايمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله انهم ساء ما كانوا يعملون ذلك بانهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون .

واذا رايتهم تعجبك اجسامهم وان يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب مسندة يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله انى يؤفكون .

* * *

هذه السورة تتضمن حملة عنيفة على اخلاق المنافقين واكاذيبهم ودسائسهم ومناوراتهم .

وتكشف عن دخيلتهم ومافي نفوسهم من البغض والكيد للمسلمين.. ومن انطماس البصائر والقلوب .

فانهم كانوا يفدون على النبي ﴿ ص ﴾ فيشهدون بين يديه برسالته شهادة اللفظ باللسان لا يقصدون بها وجه الحق . ولكن الهدف من قولهم الشهادة ليستروا حقيقتهم وامرهم فهم كاذبون في شهادتهم فان مقصودهم

خداع المسلمين . ومن ثم يكذبهم الله بشهادتهم ـ والله يعلم انك لرسوله .. والله يشهد ان المنافقين لكاذبون ـ اتخذوا ايمانهم جنة ـ

فكانوا يحلفون الايمان كلما شاع خبرهم وظهر كيدهم فيجعلون ايمانهم وقاية لهم ليتابعوا سيرهم الذي ـ فصدوا عن سبيل الله » بايمانهم الكاذبة ـ انهم ساء ما كانوا يعملون ـ وهل اسوأ من الكذب والخداع والتضليل وسبب ـ ذلك بانهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون ـ ولكنهم رجعوا الى اصلهم وطبيعتهم الى الكفر .

واذا رايتهم تعجبك اجسامهم . وان يقولوا تسمع لقولهم كانهم خشب مسندة يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله انى يؤفكون.

﴿ واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤوسهم ورأيتهم يصدون وهم مستكبرون ﴾

فاذا قال لهم قائل تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤوسهم ترفعا وتكبرا .

﴿ سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم ان الله لا يهدي القوم الفاسقين ﴾

﴿ هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا ﴾

هي قولة يتجلى فيها خبث الطبع ولؤم السريرة . هي خطة التجويع ومنع الغذاء .التي يظهر ان خصوم الحق والايمان يتواصون بها على اختلاف الزمان والمكان في حرب العقيدة ومناهضة الحقائق والاديان وذلك لخسة مشاعرهم يحسبون لقمة العيش هي كل شيء في الحياة كما هي في حسهم فيحاربون بها المؤمنين .

انها خطة قريش وهي تقاطع بني هاشم في الشعب لينفضوا عن نصرة رسول الله ﴿ ص ﴾ ويسلموه للمشركين . وهي خطة المنافقين كما يظهر من هذه الآية لينفض اصحاب رسول الله ﴿ ص ﴾ عنه تحت وطأة الضيق والجوع وهي خطة الشيوعيين في حرمان المتدينين في بلادهم من العمل والكسب ليموتوا جوعا او يكفروا بالله ويتركوا مقدساتهم .

وهي خطة كل حزب وكل فئة ممن يحاربون الدعوة الى الله وحركة التقدم الاسلامي في بلاد الاسلام بالحصار والتجويع ومحاولة سد اسباب العمل والارتزاق .

وهكذا يتوافى على هذه الوسيلة الخسيسة كل خصوم الايمان من قديم الزمان الى هذا الزمان ... ناسين الحقيقة البسيطة التي يذكرهم القرآن بها قبل ختام هذه الآية .

﴿ ولله خزائن السموات والارض ولكن المنافقين لا يفقهون ﴾

صورة المنافقين

﴿ واذا يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ماوعدنا الله ورسوله الاغرورا (١) ﴾

قد حان الوقت للكشف عن حقيقة نفوسهم . وقد وجد هؤلاء في الشدة المخوفة الآخذة بالخناق فرصة للتوهين والتخذيل وبث الشك والريبة والتنديد بماوعدالله ورسوله . فجهروا بحقيقة مايشعرون غير مبقين ولا متجملين . فالهول والخوف قد ازاح عنهم ذلك الستار الرقيق من التجمل .

هذه الفئة من الناس قائمة في كل جماعة ، وموقفهم في الشدة هو موقف كل منافق في كل زمان .

فهم نموذج مكرر في الاجيال والجماعات على مدار الزمان .

﴿ واذا قالت طائفة منهم ياأهل يثرب لامقام لكم فارجعوا ويستأذن فريق منهم النبي يقولون : ان بيوتنا عورة وماهي بعورة ان يريدون الافرار (٢) ﴾

---

(١) الاحزاب : ١٢ (٢) الاحزاب : ١٣

هؤلاء يحرضون ويحثون اهل المدينة على ترك الصفوف والعودة الى بيوتهم بحجة ان اقامتهم امام الخندق مرابطين هكذا لاموضع له ـ وبيوتهم معرضة للخطر من ورائهم . . . وهي حجة تأبى الالسن ان تنطق بها ـ تأبى النفوس من الثغرة الضعيفة فيها . ثغرة الخوف على النساء والاطفال بدعوى الخطر محدق والخوف جامح ، والظنون لاتستقر ولا تثبت ـ يستأذنون النبي بدعوى أن بيوتهم مكشوفة للعدو ، متروكة بلا حماية . وهنا يكشف القرآن عن الحجة الباطلة والدعوة الكاذبة ويجردهم من العذر والحجة ويظهر حقيقتهم ـ وماهي بعورة ـ وقفوا جامدين وبغيظهم متلبسين لاينطقون باي كلمة ولا البيوت يريدون ولا عن النساء يدافعون ولكن بالكذب والاحتيال والجبن يتزرون وما يريدون الافرارا.

هذه هي صورة المنافقين والذين في قلوبهم مرض . صورة الفزع والبلبلة والمراوغة . صورة نفسية داخلية لوهن العقيدة ، وضعف العزيمة ، ومرض القلب والتحيل للانسلاخ من الصف بمجرد مصادفة لاقيمة لها غير مبقين على شيء ، ولا متجملين لشيء .

ولو دخلت عليهم من اقطارها ثم سئلوا الفتنة لآتوها وماتلبثوا بها الا يسيرا.

قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لاخوانهم هلم الينا ولا يأتون البأس الا قليلا.

نقض العهد

﴿ ولو دخلت عليهم من اقطارها ثم سئلوا الفتنة لآتوها وما تلبثوا بها الا يسيرا (١) ﴾

﴿ ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لايولون الادبار وكان عهد الله مسئولا (٢) ﴾

ذلك كان شأنهم وعادتهم ـ والاعداء بعد خارج المدينة ولم تقتحم عليهم بعد ، ومهما يكن الكرب والفزع فالخطر المتوقع غير الخطر الواقع .

فمالو وقع الخطر واقتحمت عليهم المدينة من اطرافها ... « ثم سئلوا الفتنة » وطلبت اليهم الردة عن دينهم ـ لآتوها ـ سراعا غير متلبثين ، ولا مترددين ـ الاقليلا ـ من الوقت .

فهي عقيدة واهنة لاتثبت ولاتستقر . ولاتلبث الاقليلا ويستجيبوا لنفاقهم ويستسلموا ويرتدوا كفاراً . وماهو الا الجبن والخوف الذي لايملكون معه ادنى مقاومة .

---

(١) الاحزاب : ١٤ (٢) الاحزاب : ١٥

هكـذا يكشفهم القرآن . ويجردهم عن كل ستار . فتظهر النفوس عارية من كل حجاب .

ثم يصمهم بعد هذا بنقض العهد وخلف الوعد .

ومع من ؟ ... مع الله الذي عاهدوه من قبل على غير هـذا ثم لم يرعوا مع الله عهدا . ولم يحفظوا له وعدا ـ ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل ـ وباي شيء عاهدوه بان ـ لا يولون الادبار ـ وعند هذا الحد ـ وهم امام العهد المنقوض . والخلف المقوت . والوعد الـكاذب . كل هذا ابتغاء النجاة من الخطر ، والامان من الفزع .

﴿ قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت او القتل واذا لا تمتعون الا قليلا (١) ﴾

﴿ قل : من ذا الذي يعصمكم من الله ان اراد بكم سوءاً او اراد بكم رحمة ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيراً (٢) ﴾

ان الله سبحانه وتعالى هو المسيطر على الاحداث والمصائر يدفعها في الطريق المقرر وينتهي بها الى النهاية المعلومة المحتومة ، والموت او القتل قضاء لامفر من لقائه في موعده وفي وقته ، لايستقدم لحظـة ولا يستأخر . ولن ينفع الهرب والفرار في دفع القدر المحتوم عن هارب وفار . فاذا فروا فانهم ملاقون حتفهم المـكتوب ، في موعده القريب وكل

(١) الاحزاب : ١٦ (٢) الاحزاب : ١٧

موعد في الدنيا قريب ، وكل بداية لها نهاية ، وكل متاع فيها قليل ، ولا عاصم من الله ولا من يحول دون نفاذ مشيته سواء اراد بهم سوءاً ام اراد بهم رحمة ولا مولى لهم ولا نصير من دون الله ، يحميهم ويمنعهم عن قضاء الله وقدره .

﴿ قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لاخوانهم : هلم الينا ولا يأتون البأس الا قليلا (١) ﴾

علم الله بالمعوقين والمثبطين الذين يقعدون عن الجهاد ويدعون غيرهم الى القعود ـ ولا يأتون البأس الا قليلا ـ ولا يشهدون الجهاد الا لماما . فهم مكشوفون امام الله وكشفهم امام الناس .

---

(١) الاحزاب : ١٨

اشحة عليكم فاذا جاء الخوف رايتهم ينظرون اليك تدور اعينهم كالذي يغشى عليه من الموت فاذا ذهب الخوف سلقوكم بالسنة حـــداد اشحة على الخير اولئك لم يؤمنوا فاحبط الله اعمالهم و كان ذلك على الله يسيرا .

صفات هذه الفئة من البشر

﴿ اشحة عليكم فاذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون اليك تدور اعينهم كالذي يغشى عليه من الموت فاذا ذهب الخوف سلقوكم بالسنة حداد اشحة على الخير اولئك لم يؤمنوا فاحبط الله اعمالهم وكان ذلك على الله يسيرا (١) ﴾

يالها من نفوس ما اشحها وابخلها على المسلمين شحيحة بالجهد وشحيحة بالمال وشحيحة في العواطف والمشاعر على السواء.

« فاذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون اليك تدور اعينهم كالذي يغشى عليه من الموت »

ماأقبحها من صورة شاخصة مزرية واضحة الملامح ، متحركة الجوارح ، وهي في الوقت نفسه مضحكة ، تثير السخرية من هذا النوع الجبان الهالع المرتعش ، الذي تنطق او صاله وجوارحه في لحظة الخوف والجبن ، واشد اثارة للسخرية صورتهم وحالتهم بعد ان يذهب الخوف ويجيء الامن « فاذا ذهب الخوف سلقوكم بالسنة حداد » .

---

(١) الاحزاب : ١٩

فخرجوا من اوكارهم وارتفعت اصواتهم بعد الارتعاش، وانتفخت اوداجهم بالعظمة ونفشوا بعد الانزواء ، وادعوا من غير حياء ، ماشاء لهم الادعاء من البلاء في القتال والفضل في الاعمال ، والشجاعة والاستبسال ثم هم : « اشحة على الخير » فلا يبذلون للخير شيئا من طاقتهم وجهدهم واموالهم وانفسهم ، مع كل ذلك الادعاء العريض و كل ذلك التبجح وطول اللسان.

وهذا النموذج من الناس لا ينقطع في جيل ولا في قبيل فهو موجود دائما ، وهو شجاع فصيح بارز ، حيثما كان هناك امن ورخاء ، وهو جبان صامت منزو حيثما كان هناك شدة وخوف ... وهو شحيح بخيل على الخير واهل الخير ، لا ينالهم منهم الا سلاطة اللسان .. اولئك لم يؤمنوا فاحبط الله اعمالهم فهذه هي العلة الاولى العلة ان قلوبهم لم تخالطها بشاشة الايمان ولم تهتد بنوره ولم تسلك منهجه ـ فاحبط الله اعمالهم ولم ينجحوا لان عنصر النجاح مفقود عندهم .

يحسبون الاحزاب لم يذهبوا (١) فهم مايزالون يرتعشون ويتخاذلون ، ويخذلون . ويأبون ان يصدقوا ان الاحزاب قد ذهبت وانه قد ذهب الخوف وجاء الامان .

﴿ وان يأت الاحزاب يودوا لوانهم بادون في الاعراب يسئلون عن انبائكم ولو كانوا فيكم ماقاتلوا الا قليلا (١) ﴾

الاحزاب : ٢٠

يالسخرية ! ويالصورة المضحكة ـ وان يأت الاحزاب يو دهؤلاء المرضى الجبناء . لوانهم لم يكونوا من اهل المدينة في حياة ولا في مصير ولا يعلمون ـ حتى ـ مايجري على اهلها . انما هم يجهلونه ، ويسألون عنه سؤال الغريب عن الغريب مبالغة في البعد والانفصال والنجاة من الاهوال يتمنون هذه الامنيات المضحكة ، مع انهم قاعدون ، بعيدون عن المعركة لايتعرضون لها مباشرة . انما هو الخوف من بعيد ـ ولو كانوا فيكم ماقاتلوا الا قليلا ـ

هذه هي الصورة التي كانت مرتسمة على محيا تلك الجماعة الناشئة في المدينة .

ذلك كان حال المنافقين والذين في قلوبهم مرض والمرجفين في الصفوف ، وتلك كانت صورتهم الرديئة .

﴿ لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لايجاورونك فيها الا قليلا (١) ﴾

هذه الآية تهدد المنافقين ومرض القلوب والمرجفين والذين ينشرون الشائعات المزلزلة في صفوف الجماعة المسلمة . بانهم اذا لم ينتهوا عن اعمالهم ونفاقهم ويرتدعوا عن ايذاء المؤمنين يسلط الله عليهم نبيه

---

(١) الاحزاب : ٦٠

الاكرم ﴿ ص ﴾ فيطهر منهم جوالمدينة ويطاردهم من الارض .

﴿ ملعونين اين ماثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا (١) ﴾

﴿ سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا (٢) ﴾

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

(١) الاحزاب : ٦١ (٢) الاحزاب : ٦٢

ام حسب الذين في قلوبهم مرض ان لن يخرج الله اضغانهم .

ولو نشأ لاريناكهم فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم في لحن القول والله يعلم اعمالكم . فهل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا في الارض وتقطعوا ارحامكم .

اولئك الذين لعنهم الله فاصمهم واعمى ابصارهم .

تفسير المنافقين

﴿ ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك قالوا للذين اوتوا العلم ماذا قال آنفا اولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا اهواءهم (١) ﴾

قد مر كثيراً ذكر المنافقين ، ووصف دسائسهم ، والتنديد باعمالهم واخلاقهم . وهذا احد المواضع التي وردت فيها الاشارة الى المنافقين .

وسؤالهم بعد استماعهم الرسول ـ صلى الله عليه وآله ـ يدل على انهم كانوا يتظاهرون تظاهراً بانهم يلقون سمعهم وبالهم الرسول ﴿ ص ﴾ وقلوبهم لاهية غافلة . او مطموسة مغلقة .

فانهم يعنون بهذا السؤال السخرية من احتفال اهل العلم بكل مايقوله محمـــد ـ صلى الله عليه وآله ـ وحرصهم على استيعاب معانيه وحفظ الفاظه .

فهم يسألونهم ان يعيدوا الفاظه التي سمعوها على سبيل السخرية الظاهرة او الخفية . وهذا يـــدل على اللؤم والخبث والانطماس والهوى الدفين ـ اولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا اهواءهم .

---

(١) محمد : ١٦

﴿ فهل ينظرون إلا الساعة ان تاتيهم بغتة فقد جاء اشراطها فانى لهم اذا جاءتهم ذكراهم (١) ﴾

ماذا ينتظر هؤلاء الغافلون الذين يدخلون مجالس رسول الله (ص) ويخرجون منها غير واعين ولا حافظين . ماذا ينتظرون ؟

هل ينتظرون الا الساعة فقد جاءت علاماتها ـ وجاء اشراطها ـ فانى لهم اذا جاءتهم ذكراهم ـ التي تخرج الغافلين من غفلتهم وتهزهم من رقدتهم .

ويمضى السياق متواليا يصور موقف المنافقين من الجهاد . وما يوجد في نفوسهم من جبن وهلع وخوف فيظهرهم الى الملأ ويكشف عن دخيلتهم ، ويبين مايصيبهم لو بقوا على هذا النفاق .

﴿ ويقول الذين آمنوا : لولا نزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال رايت الذين في قلوبهم مرض ينظرون اليك نظر المغشي عليه من الموت فاولى لهم (٢) ﴾

﴿ طاعة وقول معروف فاذا عزم الامر فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم (٣) ﴾

﴿ فهل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا فى الارض وتقطعوا ارحامكم (٤) ﴾

---

(١) محمد : ١٨ (٢) محمد : ٢٠

(٣) محمد : ٢١ (٤) محمد : ٢٢

﴿ اولئك الذين لعنهم الله فاصمهم واعمى ابصارهم (١) ﴾

﴿ افلا يتدبرون القرآن ام على قلوب اقفالها (٢) ﴾

نعم اذا نزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال ، رأيت الذين في قلوبهم مرض ينظرون اليك نظر المغشي عليه من الموت . ويصور الخوف الى حد الهلع ، والضعف الى حد الرعشة ، والتخاذل الى حد الغشية .

فكان الاولى والاحسن بهذه الفئة الانقياد والطاعة والانصياع لامر قائدهم ونبيهم من الفضيحة والنفاق والعـــار الممقوت المرسوم على النواصي الى الابد او يتغيروا ويتوبوا وتمحى عن جباههم او سمة النفاق والعـــار .

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

ـ ولا يغير الله ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم ـ و بينما القرآن يتحدث عنهم « والحديث شجون » .

ويقص على المجتمع فضائحهم ودسائسهم واعمالهم الدنيئة ونفاقهم الممل الممقوت . مجابههم مهددا بسوء العاقبة وقلة النصير ـ فهل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا في الارض وتقطعوا ارحامكم .

ايهـــا المنافقون : ماذا تريدون بانقلابكم عن الدين الحنيف ـ الاصلاح ـ ؟ كلا ... بل يريدون الافساد بين الناس ، والقاء الفتنة بين المسلمين واهلاك الحرث والنسل بافسادهم واعمالهم الوسخة واخلاقهم

(١) محمد : ٢٣ (٢) محمد : ٢٤

الرذيلة .

اولئك الذين لعنهم الله ، فاصمهم واعمى ابصارهم افلا يتدبرون القرآن ام على قلوب اقفالها .

سيظلون اولئك الذين لعنهم الله في مرضهم ونفاقهم اولئك لا يستحقون الا الطرد والابعاد عن الهدى ـ فاصمهم واعمى ابصارهم ـ بمعنى تعطيل السمع وتعطيل البصر فلم يعد لهذه الحواس وظيفة . لانهم لم يتدبروا القرآن .

﴿ ان الذين ارتدوا على ادبارهم من بعد ماتبين لهم الهدى الشيطان سوّل لهم واملى لهم (١) ﴾

﴿ ذلك بانهم قالوا للذين كرهوا ماتزّل الله سنطيعكم في بعض الامر والله يعلم اسرارهم (٢) ﴾

﴿ فكيف اذاتوفتهم الملائكة يضربون وجوههم وادبارهم (٣) ﴾

﴿ ذلك بانهم اتبعوا ما اسخط الله وكرهوا رضوانه فاحبط اعمالهم (٤) ﴾

هؤلاء هم المنافقون الذين يتخفون ويتسترون . والسبب الذي جعل للشيطان عليهم هذا السلطان ـ واوصلهم الى الارتداد على الادبار ـ

---

(١) محمد : ٢٥ (٢) محمد : ٢٦

(٣) محمد : ٢٧ (٤) محمد : ٢٨

ذلك بانهم قالوا للذين كرهوا . ماانزل الله : سنطيعكم في بعض الامر . وكان ذلك في الدس والكيد والتآمر على الاسلام ونبي الاسلام ـ والله يعلم اسرارهم ـ وهناك المصيبة العظمى والطامة الكبرى يوم الضرب على الوجوه والادبار عندما تتوفاهم الملائكة ـ وذلك بانهم اتبعوا ماأسخط الله وكرهوا رضوانه ـ ومن يكره رضوان الله فلن يقبل عمله فاحبط اعمالهم وادخلهم جهنم وساءت مصيرا .

﴿ ام حسب الذين في قلوبهم مرض ان لن يخرج الله اضغانهم (١) ﴾

﴿ ولو نشأ لاريناكهم فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم في لحن القول والله يعلم اعمالكم (٢) ﴾

﴿ ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلوا اخباركم (٣) ﴾

كان المنافقون ولم يزالوا يخفون امورهم ويتسترون باعمالهم ويكتمون ماتنطوى عليه نفوسهم من خبث ممقوت وعمل ملعون يدل على ذلة نفوسهم وحقارتها ومهانتها ، تخجل الالسن ان تنطق بها ، وترتفع الانفس عن ارتكابها ، وتابى الهمم العالية ان تتدنس بها . ولكن هذه

---

(١) محمد : ٢٩ (٢) محمد : ٣٠

(٣) محمد : ٣١

الاعمال ، وهذه النيات الخبيثة لاتليق الا باهلها اصحاب القلوب المريضة والطرق الملتوية والخطوط المعوجة ، والتي لاتستقيم على حال ، ولا يبدأ لها قـــرار .

ولـكن الله سبحانه وتعالى . اراد ان يفضح هؤلاء القوم . ويحذر المسلمين منهم ومن اعمالهم ليكونوا على حـــذر دائما . واعين لانفسهم حذرين محافظين على دينهم ومبدئهم وعقيدتهم . كره ان يستر عليهم اعمالهم ويخفي فضائحهم خوفا على المجتمع من الانهيار اذا كان فيه فئة كهذه فبدد مايكتمون ، وهددهم باظهار حالهم . وكشف اضغانهم واحقادهم على المسلمين وعلى نبي المسلمين (ص) بقوله عزوجل لرسوله ولو نشاء لأريناكهم — هل يخف على الله شيء وهو عالم بكل شيء . نعم ! ؟ .. ستعرفهم في لحن القول وفي الـكذب والمخادعة والتدليس باجلى مظاهره لعلهم يخفونه عن الناس وليغروا به اهل السواد من المسلمين . ولـكن الله سبحانه وتعالى يعلم اعمالهم وماتنطوي عليه صدورهم . والله سبحانه وتعالى لم يعجل عليهم بالعقوبة بل . ليبلوهم حتى يعلم المجاهدين منهم والصابرين ويبلو اخبارهم.

﴿ ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وشاقوا الرسول من بعد ماتبين له الهدى ان يضروا الله شيئا وسيحبط اعمالهم (١) ﴾ .

ان الذين كفروا — ووقفوا في وجه الحق خوفا من ان يصل الى الناس،

---

(١) محمد : ٣٢

وصدوا الناس عنه باساليب متعدده ووسائل كثيرة مثل المال اواظهار القوة والبطش او الخداع او غير ذلك من الطرق ـ وشاقوا الرسول ـ في حياته باعلان الحرب عليه والمخالفة عن طريقه ، والوقوف في غير صفه . او بعد وفاته بمحاربة دينه وشريعته ومنهجه ، والتابعين لسنته والقائمين على دعوته وذلك ـ من بعد ماتبين لهم الهدى . وعرفوا الحق واتبعوا اهواءهم . ورؤوسهم جامحة معاندة ، قد اعمتهم عن الحق اغراضهم الدنيوية وقادتهم الى مصير معلوم جهنم وبئس المصير .

وعلى كل حال . ومهما صدر منهم من اعمال ومنع وردع . والوقوف بوجه الدعوة وعن تقدمها وانتشارها ـ كل هذا ـ لن يضروا الله شيئا ـ ومن هم ليضروا خالق السماوات والارض وجبارها المسيطر على الكون كله بما فيه . بل هم اضأل واحقروا ضعف ـ ولكن المقصود من الآية حسب الظاهر والله اعلم ـ انهم لن يضروا دين الله ولادستوره ولا القادة القائمين على دعوته . مهما بلغت قوتهم ، ومهما عظمت سلطتهم ومهما تعدوا على المسلمين وبخسوا حقوقهم لن يضروهم ولكن مينالهم عذاب من الله اكبر وعاقبتهم معروفة واعمالهم غير مقبولة ـ واحبط اعمالهم ـ .

يوم يقول المنافقون والمنافقات الذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم قيل: ارجعوا وراءكم فالتمسوا نوراً فضرب بينهم بسوره باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب.

خاتمة المطاف

﴿ ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات الظانين بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء وغضب الله عليهم ولعنهم وأعدلهم جهنم وساءت مصيرا (١) ﴾

ظن السوء بالله صفة مشتركة بين المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات . وهي الصفة التي تميز المؤمن عن غيره . والصفة الفاصلة بين المسلم والمنافق ـ فما جزاء من يظن بالله هذا الظن نعم جزاؤهم كما قال سبحانه وتعالى « عليهم دائرة السوء » ـ وغضب الله عليهم ـ ولعنته تحيط بهم ـ واعدلهم جهنم وساءت مصيرا وذلك لان النفاق صفة خبيثة منحطة وهي والشرك على حد سواء .

واما المؤمن فهو حسن الظن بربه يتوقع منه الخير دائما وينتظره في السراء والضراء . والسر في ذلك وجود العلقة والصلة بينه وبين ربه وخير الله وفيضه ونعمه لاتنقطع ابدا ـ خيره الينا نازل وشرنا اليه صاعد ـ فمن يصل قلبه بالله عز ذكره لمس معاني العظمة وشعر بالصلة التي

---

(١) الفتح : ٦

بينه و بين خالقه ، واحسها احساس مباشرة وتذوق . فاما المنـــافقون والمشركون فصلتهم مع عدو الله متينة ومتواصلة لاتنقطع ، وهم بعيدون عن الله وعن فيضه . ولذا تراهم لايشعرون بتلك الحقيقة و بتلك العلقة الرابضة في قلوب المؤمنين ، ويفتشون عنها في نفوسهم وقلوبهم فلايجدونها ـ ضعف الطالب والمطلوب ـ فيسوء ظنهم بالله . وتنغمس قلوبهم في السفاسف والاباطيل . وتعمى قلوبهم عن الحقائق والوقائع عندئذ تتعلق قلوبهم بظواهر الامور وعيونهم بالكذب والزور . ويتوقعون ان ينزل الشر والسوء بالمؤمنين ويحيكون احابيل المكر والخداع ولـكن ـ لايحيق المكر السيء الا باهله ـ وكذلك يظن الناس في هذا العصر وفي هذا الزمان بل في كل زمان بالمؤمنين ظن السوء.

والناس من امثال اولئك المنافقون الذين كانوا على عهد النبي (ص)

هكذا يظنون بالمؤمنين عند مايروا ان كفة الباطل هي الراجحة وان القوى الموجودة في الارض في جانب اهل الشر والضلال ، وان المؤمنين قلة في العدد او قلة في العدة ، او قلة في المكان والجاه والمال .

هكذا يظن اصحاب القلوب المريضة والاهواء الموجة واصحاب المبادىء السقيمة الهزيلة المستوردة في كل زمان . ان المؤمنين لايقدرون ان يواجهوا الباطل المنتفش بقوته الظاهرة . ومن ثم يتوقعون في كل لحظة ان تستأصل الجماعة المؤمنة . وتنتهي دعوتهم فياخـــذ المنافقون الطريق

السليم ويأخذون بالاحتياط ويبعدون عن طريقهم المخوف بالمهالك .

ولكن الله سبحانه وتعالى يخيب ظن السوء هذا ويأخذ الامور بتدبيره ـ وحسب ميزان العدل ميزان القوى الحقيقية ـ الميزان الذى يمسكه الله بيده القوية ، فيخفض به قوماً ويرفع به آخرين ، من حيث لا يعلم المنافقون الظانون بالله ظن السوء في كل مكان وفي كل حين .

﴿ ومن لم يؤمن بالله ورسوله فانا اعتدنا للكافرين سعيرا(١) ﴾ وخزيا عظيما ومكانا حقيراً يليق بهم وبنفوسهم .

﴿ يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نوراً فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب (٢) ﴾ اضطر المنافقون الى التخف والانزواء ، مع بقاء قلوبهم مشوبة غير خالصة ولا مخلصة يتربصون الفرص وتجرفهم الفتن . وهؤلاء تصور الآية مصيرهم يوم يميزون ويعزلون عن المؤمنين يقفون هناك في ذهول وحيرة . والخزي والعار باد على نواصيهم وهم متوسلون بالمؤمنين والمؤمنات ـ يوم يقول المنافقون والمنافقات الذين آمنوا : انظرونا نقتبس من نوركم يطلبون منهم ذلك النور الذي يشع منهم ويفيض بين ايديهم . النور الذي اشرق واضاء والذي يبهر النفوس والعيون . ولكن انى للمنافقين ان يقتبسوا من هذا النور وقد عاشوا

---

(١) الفتح : ١٣ (٢) الحديد : ١٣

حياتهم كلها في ظلام وضلال .

فالجواب يأتيهم من قبل الله عزوجل : ارجعوا وراءكم فاطلبوا نوراً والتمسوا شعاعا ـ انه التهكم الواضح اللائق بحالهم ارجعوا وراءكم ـ يطلب منهم المحال ـ الى الدنيا ، الى ما كنتم تعملون .

ارجعوا القهقرى ... الى الخلف ... الى الوراء فالنور يلتمس من هناك ـ من العمل في وقته من الدنيا التي غرتكم واتبعتم فيها اهواءكم ارجعوا فليس اليوم يلتمس النور .

فهذا اليوم يوم التمييز ... يوم الفصل ـ يوم الجوائز ـ يوم النتيجة اليوم يفصل بين المؤمنين والمؤمنات والمنافقين والمنافقات . بني الحاجز ـ فضرب بينهم بسورله باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب ـ

﴿ينادونهم الم نكن معكم قالوا بلى ولـكنكم فتنتم انفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الاماني حتى جاء امر الله وغركم بالله الغرور (١)﴾

﴿ فاليوم لا يؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا ماواكم النار هي مولاكم وبئس المصير (٢)﴾

فهاهم اولاء المنافقون ينادون المؤمنين الاعانة والغوث ـ الم نكن معكم ـ ولماذا نفترق عن بعضنا الم نكن نعيش معا في محيط واحد وفي بلد واحد ولـكن المؤمنين لم يبخلوا عليهم بالجواب وقالوا : بلى اكنا معا

---

(١) الحديد : ١٤ (٢) الحديد : ١٥

ولـكن هناك فرق بيننا و بينكم نحن اتبعنـــا الحق وانتم فتنتم انفسكم واتبعتم اهواءكم وصرفتموها عن الهدى وتربصتم ـ ووقفتم واحترتم ـ وارتبتم ـ فاصبحتم في شك من الامر ـ وغرتكم الاماني ـ والاهواء الباطلة وصرتم مذبذبين واتجهتم اتجاه الشيطان الرجيم .

ـ حتى جاء امرالله ـ يوم القيامة ... يوم الفصل . ـ وغركم بالله الغرور ـ امكثوا في جهنم خالدين فيها جزاء وفاقا .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی